التنوير

قضايا.. وشخصيات

د. محمد أبو الخير

التنوير قضايا.. وشخصيات

د. محمد أبو الخير

2018

رقم الإيداع: 17515- 2018

الترقيم الدولي: 978-977-90-5725-5

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من المؤلف.

المحتويات

المحتويات.....3
مقدمة.....5
الفصل الأول ثقافة الكتلة المنيرة.....7
استنساخ ثقافة " الكتلة المنيرة " 8
شخصية ألفا جوهر 'الكتلة المنيرة' 14
" الكتلة المنيرة " والتفكير المبتكر 19
الفصل الثاني التعليم نهضة أمة..... 24
التعليم ونهضة المجتمع..... 25
التعليم هو الطاقة الحيوية للتنمية..... 30
التعليم ومنهج المشاركة..... 35
الفصل الثالث اللغة العربية والتحديات..... 41
اللغة العربية والتواجد الحضارى..... 42
تحديات اللغة العربية..... 47
الدكتور محمود حافظ نجم في سماء مصر..... 52
الفصل الرابع اليابان وقيم العصر..... 57
اليابانيون هم اليابان !..... 58
اليابان وعصر المعرفة..... 63
جماليات يابانية..... 69
الفصل الخامس التنمية المستدامة ضرورة..... 74
التنمية المستدامة والألفية الثالثة..... 75
الحرية وحب الوطن 80
أزمة... والنغمة الهادئة..... 85
التنمية والمتميزون 90
قرية البسايسة تجربة رائدة 95
نعيش فى غرفة واحدة..... 101
اليوم المصرى للكتاب 106
مجالس الطيبين وخطاب جديد..... 111
الفصل السادس ثقافة السلام وحوار الحضارات..... 117
الثقافة لغة السلام رؤية حضارية 118
ثقافة السلام بين..... 123

ثقافة السلام ونداء أينشتاين هل يفهم الآخر؟!..... 128
نجيب محفوظ القراءة وثقافة السلام..... 133
حوار الثقافات نحو مستقبل أفضل..... 138
الفصل السابع شخصيات منيرة..... 143
العالم المستنير د.أحمد مستجير 144
د.مستجير السعادة والعمل وقيم التقدم..... 150
نجيب محفوظ قمة مصرية..... 156
نجيب محفوظ والأساتذة..... 162
صبرى العسكرى والتناغم بين الأدب والقانون..... 167
ابن خلدون منارة الفكر الإنسانى..... 172
ميتشيو كاكو والمستقبل..... 177
صلاح طاهر رحلة مع حرف الألف..... 182
الأم..... 186
المراجع..... 190
التعريف بالمؤلف 193

مقدمة

عالم اليوم، عالم التعددية الثقافية يشهد تغيرا متسارعا، ثورة المعلومات والاتصالات والهندسة الوراثية...إلخ ولم تعرف الإنسانية مثيلا له عبر مسيرتها، ولذا فإن هذا الكتاب يلقى الضوء على عديد من القضايا الثقافية والفكرية التى نواجهها في حاضرنا لكي نصنع لها لحظة تأمل عميق، يدفعنا هذا التأمل إلى بعدين مهمين: البعد الأول هو الفهم والتحليل للموضوعات المطروحة، والبعد الثاني هو محاولة وضع رؤية مستقبلية حتى تكون لدينا خطط ومناهج علمية نواجه بها التحديات القادمة.

لذا يجب علينا أن نشارك فى هذه المنظومة الحضارية التى نعيشها، لأنه من اللازم؛ أن نتمثل العصر الذي نحيا فيه بثقافته وقيمه وأهدافه، بعلومه وتقنياته وحريته. علينا أن نستفيد من طاقاتنا المادية وطاقاتنا البشرية ونحسن الإستغلال لكل قدراتنا الممكنة والكامنة؛ لأن هذه المرحلة تتطلب من الجميع التطوير المستمر لكل روافد الحياة لصنع التقدم في مجتمعنا.

ومن ثم تحمل مقالات هذا الكتاب - برغم تنوع موضوعاتها- في طياتها روحا متفائلة، تلتقي كلها عند هدف رئيسى هو الوصول إلى الحلم القومي الذي يتجه للمستقبل، وهو فى نفس الوقت متعايش فى شراكة مع العالم الكوكبى، دون فقدان الهوية العربية بكل خصائصها. لقد نشرت هذه المقالات فى بعض الصحف والمجلات الأسبوعية على مدار عامين، إلا

إننى آثرت أن توثق فى كتاب، وأن يتضمن كل فصل من فصوله موضوعا محددا تتناسق مقالاته -في مضمونها- والقضية التي يناقشها أو يطرحها مثل " ثقافة الكتلة المنيرة " و "التعليم نهضة أمة" و " اللغة العربية والتحديات " و " اليابان وقيم العصر" و " التنمية المستدامة ضرورة " و " ثقافة السلام وحوار الحضارات " و" شخصيات منيرة " لعل يكون فى هذه الموضوعات ما ينفع ويفيد القارئ، وبشكل خاص جيل الشباب حتى يصبح عضوا فى " الكتلة المنيرة " تلك الكتلة التى تقدم رؤية شاملة للغد القريب والبعيد، وتساهم بوطنية مخلصة صادقة فى مسيرة الإصلاح، وتشجع كل فكر إبداعى مبتكر يساهم بشكل جاد فى نسج مناخ ثقافى، لمجتمع مستنير وحضارى، من خلال " ثقافة الإنسان" .

هذا وبالله التوفيق،

د. محمد أبو الخير

الفصل الأول
ثقافة الكتلة المنيرة

استنساخ ثقافة " الكتلة المنيرة "

يقول جيمس بريستد في كتابه القيم "فجر الضمير The Dawn of Conscience"واصفا مصر" بأنها أصل حضارة العالم ومهدها الأول؛ بل فى مصر شعر الإنسان لأول مرة بنداء الضمير، فنشأ الضمير الإنسانى بمصر وترعرع، وبها تكونت الأخلاق "[1] نعم لأنه فى مصر وقبل التاريخ، هنا بدأ كل شيء: الزراعة، والعمارة، والكتابة، والورق، والهندسة، والقانون، والنظام، ... وقبل كل شيء ولد الضمير. والمقصود بالضمير فى هذا المقام هو ذلك الصوت الداخلي الذي يوجه الإنسان إلى الخير والحق والجمال، وهو فى نفس الوقت يحذره من الخطأ. إن هذا الضمير هو الذي جعل المصري القديم يبنى بيته، ويزرع حقله، ويشيد معابده، ويصنع حضارة مؤثرة فى تاريخ الإنسانية بكل أبعادها الروحية والمادية.

ومقولة بريستد هنا فى مفتتح المقال لا تعنى أننى أتشدق بالماضى، وأعيش على أطلال إنجازاته، لا، فذاكرة الماضى وحدها غير قادرة على تفعيل الحاضر، وإنما هذه المقولة لكى نستدل ونستشرف منها روح العبقرية المصرية المنثورة فى عبق التاريخ كبرهان للحاضر والمستقبل بأننا قادرون على مواصلة مسيرة التحديث والإصلاح، لأن مصر دائما حضارة أمة، ومصر دائما قوية ولادة عبر كل المراحل التاريخية، ومهما

[1] جيمس هنرى برستد: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الألف كتاب (108)، مكتبة مصر، بدون تاريخ.

كان من أزمات فإنها دائما تحتويها بصلابتها وثرائها المتنوع، فأزمة أسرة لا تعنى أزمة مجتمع، وأزمة مجتمع لا تعنى أزمة أمة، وإنما يجب علينا ومن الضرورى رصد وتحليل ظواهر نعيشها ونواجهها فى مجتمعنا لكى نتعرف عليها وذلك من منظور الواجب وحتمية الطموح الوطنى إلى تطوير الواقع.

من خلال وسيلة "المشارك بالملاحظة Observation Participant "[1] كمنهج علمي يحاول اكتشاف ظواهر مجتمعية ويحللها عن قرب والخروج بنتائج لتلك الظاهرة، والاستفادة من النتائج في معالجة أسباب الظاهرة، إن هذه الوسيلة تطل من منظور بسيط على مجتمعنا محاولة الرصد وبلورة بعض الملاحظات، ولكن على الجانب الآخر، هذا التحليل وهذه النتائج لا تخلو من نزعة ذاتية ترجع لذاتية الملاحظ من حيث إلمامه بالموضوع وثقافته وبيئته وأيضا الظروف التي عمل فيها، وهذا يحدد زاوية الرؤية، ورغم كل ذلك إلا أنه يمكن القول أن هناك كتلتين متميزتين في محيط مجتمعنا، الكتلة الأولى وهى " الكتلة المعتمة " والتي تعنى أن ثقافة أفراد هذه الكتلة تتمحور حول ذاتها دون مصلحة المجتمع، وهى لا تعبأ بتقدمه أو تأخره، وإنما هي تهتم فقط بمصالها الذاتية، والكتلة المعتمة هي أيضا الكتلة التي تصنع ضجيجا لغويا صارخا يشوه القيمة ويرى الأشياء من منظور قاتم لا أمل، الدنيا عتمة، لا حل ، ورغم كل هذا الصخب، إلا أنه ساكن سكون الموت، لأنه انفصل عن الفعل الإيجابي، الذى ينظر إلى الأمور برؤية موضوعية، ويقيم الموقف بكل جوانبه الإيجابية والسلبية دون رؤية أنوية، أما آن الأوان لهذه الكتلة

[1] J.P. SPRADLEY (1980) Participation Observation, New York, Holt, Rinehart&Winston.

المعتمة من الخروج من قوقعة الذات إلى رحابة المشاركة، والانتقال من ضجيج الأصوات إلى هارمونية النغمات المنسجمة التي تعزف لحنا واحدا في المجتمع، وصنع نهضة حضارية ترتقى بهذا الوطن.

الكتلة الثانية هى "الكتلة المنيرة " وتتسم ثقافتها بالعمل الدؤوب بعزيمة صادقة وروح مفعمة بالأمل حاملة قضايا هذا الوطن، رغم أنوية وضجيج الكتلة المعتمة، إنها تعمل وتتحمل جهدا كبيرا لمواصلة مسيرة هذا الوطن، لأنها تؤمن بأن الوطن كلمة تعجز الكلمات عن تعريفها بمفوهما اللغوى والمعنوى لأنها كلمة تتجاوز البيئة الجغرافية والإجتماعية، تؤمن بأن الوطن إحتياج خلوى، تؤمن بأن الوطن الذى نحيا فيه، ونولد على أرضه، ونتنفس هواءه، ونشرب مياهه، ونتعلم فيه،... له حق، بل له حقوق علينا، وهذه النخبة تقف كمنارة ثابتة صانعة توهجا متجددا وإستنارة فكرية فى نسيجه تحوله إلى قوة دافعة للأمام ، وهذه الكتلة المنيرة ليست هى النخبة من أولئك المثقفين والفنانين، وأساتذة الجامعة.. ، الذين يعيشون فى برج عاجى، منفصل عن الواقع ، وإنما هى كل من يعمل فى مؤسسات المجتمع الوظيفى أو الحر، وله القدرة على الإلتحام بالواقع الجماهيرى، وفتح آفاق المشاركة، إنها النخبة المندمجة والمتفاعلة، والتى تعيش على أرض الواقع بكل مشكلاته وقضاياه، تحاول تارة أن تجسد قيما تكون رمزا حقيقيا للأجيال الشابة، أو تضع حلولا، أو تنير طريقا لموضوعات هامة تشغلة، إنها القدرة على تغيير المحيط إلى ما هو أفضل وأسمى، لأنها تدرك تحديات ثورة المعرفة للألفية الثالثة. وللكتلة المنيرة سمات أطرح بعضها:

- **حاملة رسالة**، صاحبة رؤية تؤمن بأن العمل من أجل الناس وليس من أجل المصلحة الذاتية، إنه الفكر الذى ينير الطرق المظلمة من عتمة الجهالة، إنه الحس الوطنى الذى يؤمن بأن دور الإنسان والمثقف والفنان والمسؤل هو الإشتغال بتطوير الواقع ، ومن هنا تتحول الرؤية من النزعة الذاتية التى تشكل عائق أساسى للنمو، إلى الروح العامة التى تدفع عجلة العمل للتطور، ومن هنا يكون عمل هذه الكتلة قادرا على هندسة صياغات جديدة كرؤية تنموية لتغيير الواقع، إنها المشاركة فى صنع القرار، إنه الوعى بالمسئولية الإجتماعية، إنها المواطنة بمفهوم " البطل الضد " و " بطل المقاومة " المقاومة ضد العشوائية، والإنتهازية، والتعصب، والفكر المتطرف ، ومن هنا تتحول هذه الكتلة المنيرة نموذجا للبطل القومى له القدرة لصنع حراك إجتماعى ينتشر فى كل أركان المجتمع نحو التطوير والتحديث.

-**إتقان متعة العمل**، إن إحترام العمل وإتقانه حتى يصبح هذا العمل متعة تمارس، إنما ذلك ركيزة أساسية فى طريق النجاح، هكذا تكون الكتلة المنيرة " نموذجا آسيويا" فى حرصها على دراسة الموضوع، وعمل الجدول الزمنى، ووضع الخطط والبرامج والجدية فى التنفيذ من أجل الصالح العام، إنها ليست المنافسة للآخرين، ولكنها منافسة للذات من أجل خلق نظام قيمى يدعم قيمة الإنجاز والعمل للأفضل.

- **الرؤية المستقبلية** شعار الكتلة المنيرة، الإنطلاق من عالم الماضى - والذى كثيرا ما نتقوقع داخله - والحاضر إلى رحابة المستقبل، بالتخطيط له ، وتحويلة من لحظة إستاتيكية إلى فعل ديناميكى، والقدرة على تحويل لحظات هزيمة إلى نقطة إنطلاق للإنتصار، من لحظات الإحباط إلى

لحظات أمل، إنه الفكر القلق بالإعداد للمستقبل بنهج علمى، هذا النهج يكون معين لجيل مستنير واعى لدوره تجاه مجتمعه فى مواجهة التحديات الحضارية، وأنا لا أعنى بالكتلة مجموعة الأفراد فقط وإنما الفرد الواحد هو كتلة متحركة منارة مشعة توقظ وترشد وتوجه وتنير الدروب المعتمة لكى تجعلها كتلة منيرة وكأنها متوالية عددية لا نهائية.

لن أتحدث عن تجربة النمور الأسيوية فى إستنساخ الكتل المنيرة فى جنبات المجتمع، وإنما سأذكر تجربة فريدة، إنها قصة نجاح الهند وتحولها من مجتمع يركب الأفيال وتحدى أقسى ظروف التخلف، من تزاحم المجتمع بتعدد اللغات والديانات والطبقات الإجتماعية والكثافة السكانية العالية، إلى مجتمع ينافس الدول المتقدمة لأن الكتلة المنيرة فى الهند درست وقررت وصنعت نماذج علمية أبهرت العالم من إنشاء وادى السليكون للكومبيوتر وصناعة البرمجيات مدينة "سايبر آباد" ، أنتجت العقول الهندية فى هذا البلد السيارات بصناعة وطنية خالصة، إمتلكت الصواريخ عابرة القارات، وركوب سفن الفضاء، وأيضا تقدمت صناعة السينما على المستوى التقنى وأيضا على المستوى الفنى لتصل للعالمية، لم تساهم الكتلة المنيرة فى المجتمع الهندى فقط، وإنما إنطلقت إلى المساهمة فى التقدم العالمى.

إننا نملك الكثير والكثير من الكتل المنيرة على أرض وطننا منها عل سبيل المثال لا الحصر، آثار الأقصر، مكتبة الإسكندرية، نجيب محفوظ، قناة السويس الجديدة، د. مجدي يعقوب، د. أحمد زويل، د. فاروق الباز، العلامة السنهوري، معهد الكلى بالمنصورة، كنوز دار الكتب...علينا أن

نستنسخ هذه المنارات المنيرة مع مواجهة التحدي الرئيسي الذي يهدف إلى تحريك الكتلة المعتمة وتحويلها إلى كتلة متحركة مشاركة، كتلة منيرة أيضا فى منظومة المجتمع، وكذلك تنمية قيمة التحرك، نحو توجه جديد للعمل الوطنى فى الوطن العزيز مصر.

شخصية ألفا جوهر "الكتلة المنيرة"

تحولات كثيرة في الألفية الثالثة تصيب الإنسان بالدوار، الخريطة الجينية، الاستنساخ. النانو تكنولوجي، طبقة الأوزون. طوفان الإنترنت، المفاعلات النووية الذهاب إلى المريخ، صراع الحضارات، ماذا على الإنسان أن يصنع؟ يصاب الإنسان بكثير من الإحباط واليأس وبخاصة في العالم النامي، هل هناك قيمة لما نصنع؟ هل سيجدي مانقوم به، هل سنلحق بالركب المتطور؟ فريق يري أن هناك صعوبة في الوصول إلى العالم المتطور، وفريق آخر يري أنه يمكن الوصول للعالم المتطور من خلال ثقافة" الكتلة المنيرة" والتي تتشكل من غالبية أفراد المجتمع الذين يعملون بنهج علمي، وعزيمة صادقة، وروح مفعمة بالأمل، صانعة توهجا متجددا، واستنارة فكرية وعملية في نسيج الوطن لتدفع به إلى الأمام .والركن الأساسي في "الكتلة المنيرة" شخصية "ألفا ALPHA ‘والتي تعني المحافظة على السلام الداخلي طوال الوقت، والتي تعني أيضا أن قياس الطاقة الكهربية للمخ الإنساني7 14 دورة في الثانية الواحدة، ووصف هذه الحالة بشكل مكثف ومختصر هي ' التفاؤل' والعمل في الحاضر بقوة لبنائه، والبعد عن التفكير في الماضي الذي لا يمكن تعديله، والبعد عن القلق من المستقبل الذي لم يأت بعد، وإنما العيش في الزمن المضارع بكل الجدية والدأب لكي يؤدي دوره في مسيرة الحياة. وأتذكر مقولة للمخرج والمؤلف الأمريكي الساخر وودي آلن في إحدي لقاءاته الصحفية " كثير من المصائب التي تخيلتها لم تحدث... شكراً على

ذلك.. لقد كانت فقط في خيالي..." إن الانشغال بالماضي والقلق علي المستقبل يبدد الطاقة، ويجعلنا في حالة خمول وكسل وسلبية. إن روح التفاؤل في شخصية' ألفا' تجعلنا نتخلي عن كل ما هو سلبي يعمل علي إعاقتنا عن النهوض لما نطمح له، تجعلنا نتخلي عن التقوقع في رؤية الحياة بشكل قاتم يمنعنا من الرقي والتقدم،" يقول الكاتب الأمريكى خوزيه سيلفا: إن هدفنا جميعا أن نبتعد عن بيتا(السلبية) وأن ندخل فى ألفا وهى حالة السكينة والسلام الداخلى فى كل أوقات اليقظة" [1] إن شخصية 'ألفا' تتحلي برؤية جديدة تسير نحو النضج، لأن الإنسان الناضج يؤمن بأنه يجب تحقيق شخصية اسمي لذواتنا، فهذا واجبنا نحوأنفسنا مثلما هو واجبنا نحو الآخرين، فهو قوة دفع للأمام بروح متفائلة تعمل علي وضع الأهداف، والتخطيط لتحقيق هذه الأهداف، علينا أن نفكر في الحياة بوضوح، وبتفكير هاديء، أي الأهداف نريد أن نسعي إليها؟ وعند مواجهة طريقين يجب علينا أن نختار الأكثر توافقا مع نفسنا المثالية، وكلما زاد مفهومنا لما نريد أن نكون عليه زاد وضوح صورتنا لنفسنا المثالية، وزادت عملية الإرادة سهولة.

إن شخصية ألفا تؤمن بأن العلم والمعرفة من خلال القراءة والبحث والاستشارة وتنوع المعلومات، وتنوع مصادرها عن الموضوع المراد بحثه عنصر جوهري في المنهج العلمي لإنجاز هذا المشروع بنجاح، لأننا نعيش عصر المعرفة، نفهم أن عالمنا هو ما نعمله، وهو يعتمد على ثروة عقلنا وحيويته فنحن نري ما نملك القوة لرؤياه، ومن هنا فالعالم واحد والزمن واحد، ونحن ما نعمل.

[1] ماجدة أنور المفتى: الكنز، دار شرقيات، 2005، ص 25.

إن شخصية ألفا تؤمن بالتعاون الإيجابي، أكثر مما تؤمن بالمنافسة الحادة، كما أنها تحترم فردية كل شخص، وتقدر الناس بمعايير موضوعية لا بمعايير شكلية.

إن شخصية' ألفا' تفهم أن الوقت هام جداً، وكذلك النظام وهما من عوامل نجاح الشخصيات التي أثرت في التاريخ الإنساني وساهمت في تقدم الأمم والشعوب كما تؤمن بالأفكار التي تغير المحيط من حولها، بل والمجتمع وإن إعجابه بنيوتن وكريستوفر كولومبس والحسن بن الهيثم، وابن سينا، والفارابي، وابن خلدون، وأينشتين ليس لاكتشافهم مفردات جديدة في مجالاتهم، وإنما للأفكار التي جالت بعقولهم وآمنوا بها وعملوا على تحقيقها. إن 'ألفا' يتحلى بالتواضع عن غير ضعف، لأن التواضع قيمة كبري تزيد المحبة بين الأفراد الذين يعمل معهم. ومن هنا 'ألفا' هذا الإنسان الناضج يحيا في هدوء مع نفسه ومع الآخرين، ومن هنا له القدرة على تطوير نفسه وتطوير العالم الذي يحيا فيه بتلك الذبذبات الكهربية المنبعثة من المخ والتي تشع على نفسه، وعلى الآخرين وعلى الكون من حوله، الناس والبحر والشجر والظلال، إنها روح مشرقة جميلة، لأن الله جميل يحب الجمال.

إن جوهر الانطلاق إلى شخصية ألفا هو التفاؤل والنظر إلى الأشياء بمنظار الفأل الحسن لا بمنظار التشاؤم والتطير. ونقصد بالتفاؤل أن نتعود التفكير في الأشياء بعين الأمل وليس بعين اليأس، النظر من نصف الكوب المملوء وليس من نصفه الفارغ. وكثيرا ماينشأ التفاؤل عن نشاط الشخص وقوته العقلية، وينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط وضعف العقلية.

إذن التفاؤل يدعو لإيقاظ العقل ويدعو للنشاط والحركة. نموذجان متفردان لشخصية.'ألفا' استطاعا أن يغيرا المحيط من حولهما : النموذج الأول هو 'طه حسين' قاهر الظلام' هذا الفتي الذي خرج من نجوع مصر وتحدي كل الصعاب، من أجل الوصول إلي أعلي الدرجات العلية، وبالفعل حصل علي درجة الدكتوراه من السربون، وعاد إلي وطنه مجددا في محراب الجامعة وخارج أسوارها، أستاذا وأديبا ومفكرا، ومن أهم ما نادي به طه حسين كثورة معرفية' إن التعليم كالماء والهواء'دعوة مفتوحة للعلم دعوة للتنور لقد كتب طه حسين سيرته الذاتية في كتابه ' الأيام' وكتب مؤلفات أخري هامة في حياتنا الثقافية منها'الوعد الحق' و'الشيخان' و'حديث الأربعاء 'وصاحب ترجمات للكلاسيكيات اليونانية لسوفوكليس ولكثير من عيون الأدب الفرنسي لراسين وكورني.

قال عنه الشاعر نزار قباني:

ألقي نظارتيك ما أنت أعمي

بل نحن

جوقة العميان

النموذج الثاني هو "ستيفن هوكنج Stephen Hawking "[1] لم يمنع المرض البروفيسور الإنجليزي ستيفن هوكنج الذي يعمل في علم الكونيات أي القوانين والنظريات التي تحكم الكون، من الاستسلام للمرض واليأس بل ولد فيه طاقة كامنة دفعته إلي العمل، والبحث والسفر وتكوين أسرة جميلة، إنه التمسك بالأمل إنها روح ألفا التي تحقق النجاح إنه نموذج في مقاومة الصعاب والمستحيلات لكي يصبح كيانا ذا قيمة في المجتمع وليس عالة عليه، تحول هوكنج إلي قيمة عطاء تضعه بين

[1] Kitty ferguson (1992) Stephen Hawking, A Bantam Book, London.

العظماء في مسيرة العمل الإنساني، ومن أهم إنجازاته العلمية النتيجة التي توصل إليها وهي ' إن الثقوب السوداء الموجودة في الكون ليست سوداء تماما ولكنها تصدر اشعاعات تتبخر وتختفي في النهاية' ومن أهم مؤلفاته'البناء الواسع للزمان الفضائي' الذي وضعه مع العالم 'ج .ف .ايليس ' وكتاب' النسبية العامة' مسح لنظرية اينشتين، 'موجز تاريخ الزمان' 'الثقوب السوداء والأكوان الصغيرة'، 'موجز الكون' هذا بالإضافة إلي المحاضرات والأحاديث التليفزيونية والإذاعية والأسفار للبلدان المختلفة للمشاركة في المؤتمرات يقول هوكنج 'لم يمنعني المرض من تكوين أسرة جميلة وتحقيق النجاح في عملي بفضل مساعدة زوجتي، وأطفالي وعدد كبير من الأشخاص الآخرين والمنظمات' وتعليقي علي مقولة هوكنج إن المجتمع يشد بعضه بعضا لكي يتماسك بنيانه ويعلو ويتقدم إلي الأفضل. إن 'الكتلة المنيرة' وشخصية ' ألفا' يمكنهما أن يصنعا نهجا ومسارا جديدا، للتفاعل مع واقع مجتمعنا وخلق روح جدل وحوار مع الكتلة المعتمة، لاستنفار الطاقات الكامنة فينا من أجل خلق روح إبداعية في مسيرة تحديث هذا الوطن.

" الكتلة المنيرة " والتفكير المبتكر

ميز الله الإنسان بالعقل، والعقل عقال من الجهل، وجمع عقل عقول، وسمى بالعقل لأنه يعقل صاحبه من التورط فى المهالك، يقول العقاد فى كتابه "التفكير فريضة إسلامية" " من خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبنى عليها نتائجه وأحكامه، وهذه الخصائص فى جملتها تجمعها ملكة الحكم وتتصل بها ملكة الحكمة، وتتصل كذلك بالعقل الوازع إذا إنتهت حكمة الحكيم به إلى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغى له أن يطلبه وما ينبغى له أن ياباه...ومن أعلى خصائص العقل الإنسانى الرشد..."[1] ونحن نعيش عصر المعرفة، والرشد ضرورة لتلقى نور المعرفة، وإن أصحاب العقول المنيرة يقيمون الحضارات بتفكيرهم الذى يجعل العلم نبراسا وقائدا، فالبعقل والتفكير تبنى الأمم وتزدهر الحياة، وإن صناعة الإنسان العاقل والفاعل فى منظومة المجتمع هى أسمى صناعة، لأنها البوصلة التى توجه المجتمع نحو التطور.

وفى واقع المجتمع توجد كثير من المشكلات والصعاب لا نواجهها إما عجزا عن حلها، وإما تخوفا من الإقتراب منها، والكتلة المنيرة والتى تتشكل من غالبية أفراد المجتمع الذين يعملون بنهج علمى، وعزيمة صادقة، وروح مفعمة بالأمل، صانعة توهجا متجددا وإستنارة فكرية

[1] عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر، 2004، ص 4.

وعملية فى نسيج المجتمع لتدفع به إلى الأمام، تأخذ بنهج التفكير المبتكر، والذى هو عكس التفكير النمطى الذى يسير فى خط واحد، وهو يحاول أن يعرف المشكلة ويحدد الخطوات التى يجب إتباعها ويسير فى المسار بخطوات منتظمة خطوة بخطوة نحو الحل، ومهما كانت النتائج فهذا هو أنسب الحلول فى ضوء هذه المعطيات. إنه التفكير المعتاد الذى يبدأ أولا: تحديد الموضوع أو المشكلة، وذلك من خلال جمع البيانات والمعلومات، ومن ثم التحليل ودراسة هذه المعلومات ومعرفة أسباب المشكلة، ثانيا: اقتراح بعض الحلول والبدائل، ثالثا: تقييم الحلول والبدائل، رابعا: اختيار أنسب الحلول أو البدائل المتاحة، خامسا: اتخاذ القرار المناسب، ، إنها خطوات بسيطة ولكنها تعلم التدريب والملاحظة والبحث والاختيار وصنع القرار وأيضا اتخاذ القرار، على الرغم من ذلك الطريق المنظم فى خطواته، فإن هذا التفكير المنطقي في بعض الأحيان لا يصل إلى الهدف المنشود في الإنجاز، وبالتالي لا يمكنه أن يحل المشكلات أو حتى القدرة على مواجهتها، فعندما يواجه المشكلة فإنه يقف عاجزا لا قدرة له على التحرك، ومن ثم فإنه يجب علينا أن نسلك طريقا آخر، إنه التفكير الجانبي أو المتجدد أو المبتكر، ومن رواد هذا اللون من التفكير " إدوارد دو بونو "Edward De Bono[1]

إن التفكير المتجدد والذى يعنى طرقا جديدة لرؤية الأشياء، فهو يعمل بمرونه، ويتحرك فى إتجاهات متعددة يحاول أن يكتشف حلولا للمشكلة بمنظور رحب دون التقيد بقضبان السكك الحديدية، ومثال على ذلك، فإذا كان الهدف هو الوصول من النقطة أ إلى النقطة ب ثم إلى النقطة ج

[1] إدوارد دى بونو: قبعات التفكير الست، ترجمة د. شريف محسن، نهضة مصر، 2006.

لتحقيق النتيجة المطلوبه والهدف المنشود ـ وهو بذلك الطريق الطبيعى والمنطقى ـ ولكن حينما نواجه متغيرات فى طريق رحلة الوصول إلى ج ـ الهدف ـ سواء كانت هذه العوائق بين أ و ب أو بين ب و ج فإن ذلك يعنى أننا يجب أن نبحث عن نقاط جديدة نبتكرها فمثلا، يمكن الإنطلاق من أ إلى ب ثم إلى د ثم إلى ل ثم أخيرا إلى ج محطة الوصول لتحقيق الهدف، إن هذه النقاط الجديدة المبتكرة إنما هى حلول إبتكارية وهى فى نفس الوقت صحيحة وسليمة ولا تتعدى على حقوق الأفراد أو الجماعات أو المجتمع، فالغاية فى هذا المنظور لا تبرر الوسيلة، وننتقل من الشكل المجرد إلى أسلوب أكثر عملية لإستجلاء الأمر، كان هناك مجموعة من الباحثين عن البترول فى الصحراء، وكانوا يستخدمون حفارا عملاقا، ذو ذراع واحدة لحفر باطن الأرض، وتمر الأيام والشهور وهم يعملون على أعماق مختلفة فى نفس المكان، ولكن دون جدوى، فلم يظفروا بشىء، وجلس الجميع لمناقشة الأمر، وكانت النتيجة أنه يوجد فى هذه المنطقة بترول، والسؤال كيف الوصول إليه؟ وبدرت فكرة من أحد الحاضرين تتلخص فى التالى:

1-إننا نبحث فى مكان واحد (بؤرة واحدة) طوال الوقت ولم نجد شىء.

2-علينا أن نبحث فى نفس المكان، ولكن فى بؤر متعددة.

3- يجب أن يكون مكان البحث على أعماق مختلفة.

وعلى الفور تم إحضار حفار آخر ذو أذرع متعددة، له القدرة على الإنتشار فى أماكن مختلفة من نفس المكان، وأيضا له إمكانية الحفر على أعماق مختلفة، وبالفعل عمل الجميع بهذه الفكرة الجديدة المبتكرة، وما هى إلا أيام قليلة، ووجدت المجموعة خيرات كثيرة وحققوا هدفهم.

إن الفكرة فى ذاتها قوة، وإن كانت مدعمة بالتكنولوجيا الملائمة والمناسبة لتحقيقها فهذا شىء هام، ولكن تظل الفكرة قوة فى جوهرها، إنها محاولة إستخلاص الأفكار من دراسة الموقف والمعلومات الموجودة عن الموضوع لإبتكار فكرة جديدة، وكثيرا من هذه الأفكار تغير مجرى التاريخ، لقد تطورت فكرة الطيران لإثنين من ميكانيكى الدراجات، لصنع طائرة تحلق في السماء ثم تنطلق سابحة بين الكواكب فى الفضاء الكونى.

لا يهتم التفكير المبتكر فقط أن تحل المشكلة التى تقابلك، وإنما الإهتمام الأكبر بالتوجيه إلى الطرق الجديدة فى النظر إلى الأشياء، وفى فتح آفاق جديدة للتعامل مع المشكلة، ومن الضرورى أن تنبت الفكرة الجديدة دون توتر ودون ضغط وإنما تنشأ تلقائية، بعد الدراسة وتهيأت الظروف إليها لمساعدتها على النمو فى طريقها الصحيح، لأن الإندفاع فى تنفيذ الفكرة، يعوقها عن النضج، بينما الفكرة الناضجة والمكتملة لها قوة الحضور والإستنبات فى أرض الواقع.

إن التفكير المبتكر ليس فوضى أو عشوائية أو تداعيات لأفكار لا معنى لها بدون أى ترابط بعيدا عن قواعد العقل، وإنما هو تفكير تسيطر عليه روح المنطق فى توجيه التداعيات نحو الغوص والترقب لإكتشاف فكرة من بين الأفكار حتى تضع لها الإطار العام والخطوات لحل المشكلة.

إن التفكير المتجدد والمبتكر هو تفكير إبداعى لأنه يبحث عن الجديد، وعن الأفكار غير التقليدية، والأفكار المغايرة للمألوف، ليس من قبيل التجديد لذات التجديد، أو التجديد للإختلاف عن الآخر، وإنما التجديد

لإكتشاف مناهج وطرق جديدة تجعلنا نطور من مستوى الآداء، ونحدث من منظومة العمل، ونصبح أكثر رقيا فى التعامل مع أنفسنا ومع الآخر ومع البيئة من حولنا.

من الضرورى إشاعة الفكر المبتكر بين أفراد المجتمع، ولا يكون حكرا على فئة معينة حتى يشاع هذا المفهوم فى التعامل مع مفردات الحياة اليومية ـ وليس فى المعامل أو بين حجرات الجامعة ـ لكي يؤتى المنفعة الحقيقية فى تحديث المجتمع، ومن هنا ضرورة مساندة البيئة العامة لإزكاء الطاقات، وتشجيع الخيال، إن هذا المناخ العام واحد من العوامل الأساسية لشحذ الهمم فى هذا الإتجاه.

ومن ناحية أخرى فإن الكتلة المنيرة عليها أن توجه الكتلة المعتمة والصامتة التى تعمل بشكل تقليدى نحو خوض أشكال أخرى جديدة تساعد على إزكاء مهارات متميزة، ومن هذه المهارات سوف يتولد لدينا طرق جديدة فى التعامل مع الأشياء، لأنها سوف تشكل خبرات جديدة وصورا ذهنية تضاف إلى عقولنا قادرة على تفعيل واقع جديد (مبتكر) غير الواقع المتعارف عليه (التقليدى).

ومن هنا فالكتلة المنيرة من مهامها إستخدام نهج التفكير المبتكر، التفكير الإبداعى مع الكتلة المعتمة لتحريكها، وزلزلتها، وإعادة هيكلتها بطرق جديدة تدفعها إلى تغير نمطية تفكيرها، وخلق قناعات جديدة لها حتى تصبح طاقة خلاقة فى مسيرة تطوير هذا الوطن.

الفصل الثاني
التعليم نهضة أمة

التعليم ونـهضة المجتمع

يقول جاك ديلور فى كتاب "التعليم ذلك الكنز المكنون" كتقرير قدمه إلى اليونسكو من خلال اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادى والعشرين " فى مواجهة التحديات المتعددة التى ينطوى عليها المستقبل، ترى البشرية فى التربية رصيدا لا غنى عنه فى محاولتها لتحقيق السلام والحرية والعدالة الإجتماعية، وتحرص اللجنة على أن تؤكد إيمانها بالدور الأساسى الذى تضطلع به التربية فى التنمية المستمرة للفرد وللمجتمعات، لا بوصفها "علاجا خارقا" أو صيغة سحرية تفتح الباب إلى عالم يمكن تحقيق جميع المثل فيه، وإنما باعتبارها سبيلا أساسيا، من بين سبل أخرى، لخدمة تنمية بشرية أكثر انسجاما وعمقا، تساعد على حسر نطاق الفقر والاستبعاد والجهل والحروب" [1]

إنها القناعة الكبرى بأن التعليم هو قاطرة التقدم لمواجهة تحديات المستقبل للبشرية، ومهما كان هناك من عقبات إقتصادية أمام برامج التعليم - الأساسي أو الجامعي ـ إلا أنه يجب أن يتم توفير الدعم المالى المناسب والمطلوب لتحقيق هذه البرامج، وأيضا ومن جهة أخرى يجب البحث عن حلول بديلة وغير تقليدية فى نشر وإنجاز الخطة المستهدفة في مجال التعليم، لأن التعليم يعتبر ركن جوهري لتقدم ونهضة المجتمع المصري.

[1] جاك ديلور: التعليم ذلك الكنز، تقرير قدمته إلى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادى والعشرين، اليونسكو،1996.

سوف نتناول فى هذه المقالة التعليم الجامعى، ولكنى لن أتطرق إلى القضية بشكلها العام وعلاقاتها المتشابكة والمتشعبة بموضوعات تتعلق بالكتاب الجامعى، الإدارة فى الجامعة، كفاءة هيئة التدريس، البحوث والرسائل العلمية، إلى غيرها من الموضوعات، ولكنى سوف أتحدث هنا عن ثلاثة محاور متفرقة ومرتبطة فى نفس الوقت، ويمكنها أن تصنع توهجا وتحريكا ودفعا للتعليم الجامعى إلى الأمام : المحور الأول، دور المكتبة كمنارة للمعرفة، وكبوتقة تتجمع فيها معارف وثقافات متنوعة يمكنها أن تسهم إسهاما كبيرا فى تطوير البحث العلمى، وأيضا يمكنها أن تكون شخصية الدارس فى ثقافيه العامة، لأن الثقافة بمفهومها الواسع والعميق أحد مكونات الشخصية الإنسانية الناضجة لأنها تضفى بعدا شموليا لمكونات الشخصية وأيضا تعطى له مساحة لإتساع الرؤية، والنظر إلى الموضوع المراد بحثه من زوايا مختلفة تزكى الموضوع بثراء التنوع، إنها تنمية الميول والمهارات تجاه المعرفة.

إن المكتبة الجامعية يجب أن تقف منارة متكاملة ومتطورة على مستوى المضمون وما تحتويه من كتب ومراجع ودوريات قديمة وحديثة حتى تحقق للباحثين الأهداف التى ينشدونها، فلم تعد المكتبة مخزنا للكتب، وإنما عالما متكاملا من البناء المادى، الحداثة والتقنية المتطورة، الأرشفة السهلة والمنضبطة للعناوين، النظام والنظافة فى القاعات، إستخدام الكومبيوتر، الإتصال بشبكة الأنترنت، سهولة التصوير، أجهزة الفيديو، ماكينات الميكروفيلم والميكروفيش، القدرة على الإتصال بالجامعات الآخرى سواء داخل الوطن أو مع أى مكتبة من مكتبات العالم، وهذا يدعمه القوى البشرية الماهرة والمدربة على أحدث نظم إستخدام

المكتبات، وأذكر هنا قصة توضح مدى قدرة المكتبة على أن تلعب دورا مهما فى تيسير الحصول على المعرفة والإستفادة منها، كنت بحاجة إلى الإطلاع على رسالة دكتوراه من جامعة طوكيو باليابان فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى، فى مجال التعليم بالمشاركة كمنهج غير تقليدى فى التدريس، وذهبت إلى مكتبة جامعة ليدز متروبوليتان بإنجلترا، وسجلت فى بطاقة البيانات الخاصة بالموضوع وأعطيتها إلى أمين المكتبة، والذى أخذها بدوره ووعدنى خلال أسبوعين سوف يحضر الرسالة، وبالفعل بعد عشرة أيام وصلتنى برقية تشير أن الرسالة موجودة بمكتبة الجامعة، وذهبت ووجدت الرسالة كاملة فى خطاب صغير مصورة على شريحتين رقيقتين من البلاستك ـ طول القطعة خمسة عشرة سنتيمترات وعرضها عشرة سنتيمترات ـ ويمكن الإطلاع عليها من خلال جهاز الميكروفيش، كم كانت سعادتى بالحصول على الرسالة والإطلاع عليها والإستفادة. إن المكتبة فى الجامعة بحاجة إلى تمويل خاص ومنتظم لكي يصنع تطورا كميا وكيفيا لكي تكون المكتبة الجامعية قادرة على تحقيق دورها فى الإرتقاء بالبحث العلمى داخل محراب الجامعة.

نريد للجامعة المصرية أن تتفوق وتتقدم وتنافس المعايير العالمية فى جودة التعليم، إن ذلك لن يأتى والحال على ما هو عليه، وإنما يتأتى ذلك بنهج علمى قصير المدى وأيضا طويل المدى لكي يحقق ما نطمح إليه للمرحلة القادمة التى تتطلب رؤية واضحة وسياسة فعالة للإرتقاء بالتعليم.

إن الإهتمام بالمكتبات المركزية داخل الجامعة وتزويدها بما تحتاج إليه من مراجع ودوريات متنوعة وفى تخصصات مختلفة تخدم التخصصات المشتركة، وآلات تكنولوجية حديثة لخدمة الدارسين، كل

ذلك سوف يرتقى بمستوى الأبحاث العلمية، وأيضا الإهتمام بالمكتبات المتخصصة للكليات والمعاهد حيث تضم المراجع ذات الصلة الوثيقة والدقيقة بالموضوعات التى تقوم عليها الكليات أو المعاهد، إن هذه التكاملية بين المكتبات المركزية والمكتبات الخاصة يساعد الباحثين ويكون له عظيم النفع فى إثراء حركة البحث العلمى داخل محراب الجامعة، بحيث تتحول المكتبة إلى نقطة إنطلاق كبرى فى حياة الجامعة.

وهنا نتحدث عن المحور الثانى وهو الأبحاث الجامعية من رسائل ماجستير ودكتوراه وما بعد الدكتوراه فمن الضرورى إيجاد طريق للإستفادة من هذه الأبحاث حبيسة الأرفف، والمنسية دون تقدير، لقد كبدت هذه الأبحاث الجامعة والدارسين جهدا عقليا، وجهدا ماليا ومن الضرورى الإستفادة منها، لا أريد أن أقول إن جميع هذه الأبحاث قابلة للتطبيق أو أنها شديدة التميز فى أفكارها ومشروعاتها ولكن ودون شك هناك الكثير منها يمكن أن يحقق نفعا كبيرا لهذا الوطن بل وللإنسانية جمعاء، إن الفكرة المبتكرة تغير فى محيط المجتمع، إن المشروعات الكبرى فى تاريخ الإنسانية كانت فكرة، بناء السد العالى كان فكرة، إحياء مكتبة الإسكندرية كانت فكرة، عبور 6 أكتوبر كان فكرة، الصعود للقمر كان فكرة، الذهاب للمريخ كان فكرة...وما أكثر وأجود الأفكار فى الأبحاث الجامعية، فهل هناك إمكانية لمشروع حضارى يبحث وينقح ويختار ما نحتاجة من هذه الأفكار لتحديات المستقبل؟

وهذا يقودنا إلى الحديث عن المحور المحور الثالث وهو علاقة الجامعة بالمؤسسات الصناعية، إن الجامعة بحاجة إلى موارد مالية للبحث العلمى،

وعالم الصناعة بحاجة إلى أبحاث لتطوير الصناعة وأيضا التغلب على مشكلات الصناعة، وسؤال جوهرى يفرض نفسه لماذا لا يكون اللقاء بين هذا وذاك، بين الأبحاث العلمية فى الجامعة وبين عالم الصناعة على الجانب الاخر؟ يجب أن يكون هناك لقاء بين الجانبين، يجب أن يكون هناك وضوح رؤى عما نريد أن نبحث وأن نطور، وأيضا يجب أن يكون هناك ثقة كبيرة ومصداقية فى فلسفة وخطوات العمل، كثيرا ما نقرأ عن شركات للسيارات، والأدوية، والنسيج، والزجاج، والبترول وغيرها تقدم دعما سنويا للجامعة لعمل أبحاث تساعد هذه الشركات عن إيجاد حلول لمشكلات تقابلها فى الصناعة وأيضا لعمل تطوير وتجويد للمنتج بما يحقق نفع أكبر للإنسان. إن هذا المحور يمكن أن يلعب دورا كبيرا فى تطوير التعليم بوجه عام وفى تطوير البحث العلمى داخل الجامعات والمعاهد بوجه خاص، ومن هنا ضرورة فتح قنوات إتصال بين الجامعة والمؤسسات والشركات الصناعية، ومن المعروف أن نهضة المجتمعات الغربية والأسيوية إنما نتيجة هذه الشراكة بين الجامعة والمؤسسات خارجها.

ولكن هل يكتفى بتحقيق نهضة التعليم بالنظر إلى ما هو ضرورى وبحاجة إلى التطوير ـ كرؤية آنية ـ دون محاولة لاستشراف المستقبل، هل يكتفى بعلاج وإصلاح المشكلات التى نعانى منها سواء على مستوى التعليم الأساسى أم الجامعى أم البحث العلمى، إن الرؤية الحالية يجب أن تتضافر فى نفس الوقت مع الرؤية المستقبلية لكي نحقق المعادلة التى تجعلنا نطور من أنفسنا ونسير إلى الأمام من أجل رفعة هذا الوطن لأن التعليم نهضة ورقى للمجتمع الإنساني.

التعليم هو الطاقة الحيوية للتنمية

نعم التعليم هو الطاقة الحيوية لتنمية المجتمع، ومن هنا تحرص الدول على الإرتقاء بالتعليم كبوابة عبور نحو التقدم، وكمنارة ترشد الأجيال القادمة لإستشراف المستقبل، وتمثل العملية التعليمية من خلال الأنشطة التفتح للطاقات والإمكانات البشرية نحو الرقى الإنسانى، كما أن التقدم الإقتصادى يفقد معناه الحقيقى إن لم تشكل الأبعاد التربوية ـ والثقافية ـ العناصر والأهداف المركزية للجهود المبذولة فى سبيل التقدم والتنمية لمنظومة المجتمع، وعندما يزداد التطور التكنولوجى، وتتطلب الأنشطة الإجتماعية مزيدا من المعارف، فإن الموارد البشرية المتطورة من خلال مناهج التعليم سيكون لها دورا كبيرا فى خلق مجتمع قوى يحمل رؤى جديدة فى فلسفة العمل، لأن التربية من خلال الأنشطة قادرة على أن تحقق المثل العليا، وأيضا قادرة على إقامة عالم منسجم يعتمد على قوى الترابط والتعاون والتكامل.

ومن العوامل الأساسية التى سيقت لتفسير المعجزة الإقتصادية التى حققتها منطقة جنوب شرق آسيا وخروجها من دائرة التخلف إلى رحاب النهضة والتقدم كان التعليم عمودا جوهريا فى هذا المضمار بمحاور متعددة منها: المناهج التى تعتمد على الأنشطة، الإرتقاء بمستوى المعلم، الإهتمام بالعلوم، إتقان اللغة الإنجليزية، إستخدام التكنولوجيا لسرعة الإنتشار وغيرها من البرامج والمحاور، وهنا سوف نتطرق إلى أهمية

الأنشطة فى التعليم. ويمكن أن تمارس الأنشطة فى العملية التعليمية على مستويين: المستوى الأول داخل المنهج للمواد التعليمية بحيث تكون التجارب العملية مدعمة له. المستوى الثانى أنشطة موازية للمنهج بأبعاد مختلفة تؤكد المنهج وتنفتح على آفاق متنوعة للمعرفة تعمل على بناء قدرات الطلاب منها الأنشطة الفنية والثقافية مثل عمل الأبحاث، الرسم، الموسيقى، المسرح، والإذاعة...إن التعليم من خلال الأنشطة سوف يكتشف مواهب كامنة لكل فرد على سبيل المثال قوة الخيال، قوة الذاكرة، الحس الجمالى، القدرات البدنية، سهولة الإتصال مع الآخر، روح القيادة، ...وغيرها من القدرات التى من الضرورى أن يكتشفها الإنسان فى ذاته لكى يعرف كيف يستفيد من هذه الملكات لنفسه وللجماعة، وهذه الملكات تصبح أكثر منالا عندما تتاح للتلاميذ امكانية اختبار قدراتهم وإثرائها بالإشتراك فى الأنشطة جنبا إلى جنب مع دراستهم، الأمر الذى يتطلب وجوب اعطاء مكان ووقت لممارسة الأنشطة سواء كانت مع منهج الدراسة أو بالتوازى معه.

الأنشطة تحقق الشعور بالمسئولية تجاه الفرد والجماعة بل والبيئة التى نحيا فيها، ومن هنا تنمو روح التضامن ويصبح العالم الصغير الذي تمارس فيه الأنشطة عالما كبيرا يجب المحافظة عليه، وعلى ذلك ينعكس هذا التوجه لكي يصبح تلقائيا على العالم الخارجى الذى تحيا فيه المجموعة، لأن كل فرد سوف يحاول أن ينهض بنصيبه من المسؤولية الجماعية فى دائرته وأيضا نحو العالم.

التعليم من خلال الأنشطة يخلق روح المبادرة باعتبارها صفة مطلوبة فى المرحلة القادمة لتحديات المستقبل، لأنه ليس المطلوب أن يكون الإنسان قادرا على الإنتاج والمنافسة فحسب وإنما أيضا للصمود والتحدى والإبتكار فى المواقف الحياتية المختلفة. كما تنمى الأنشطة تفهم الإختلافات ومن ثم فهم لتعددية الآراء بل والثقافات ومن هنا يصبح الإختلاف نوعا من الثراء الإنسانى وليس صراعا وتناحرا وحروبا لأنه سيكون هناك إقامة جسور حوار متبادل بين الأفكار المتنوعة مما يساعد على التعلم من الآخر. إن الأنشطة تخلق الإبداع، تخلق الجديد، تخلق الشكل الغير تقليدى، إنها روح التجدد التى نسعى لها لبث روح ديناميكية فى مفردات الحياة اليومية، وفى جنبات المجتمع لكي يرتقي ويتطور نحو الأفضل، لأن التلاميذ يستطيعون أن يحققوا تطورا لآرائهم، وأن يفكروا من وجهات نظر مختلفة فى مجال النشاط الذي يمارسونه حتى بدون استخدام عناصر مساعده تقوم على توضيح النشاط، لأن النقاش والحوار يخلق" Embedded Context "[1] معنى ومضمون للموقف، مما يساعد على فهم التلاميذ للموقف من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض.

وعلى الطرف الآخر إن استخدام العناصر المكملة للنشاط وخاصة فى الموضوعات الغير مألوفة لخبرة التلاميذ، يساعد على خلق معاني ومفاهيم جديدة فى التفكير من وجهات نظر مختلفة للموضوع، وأيضاً إعادة صياغة الخبرة السابقة برؤية جديدة. إن العناصر المكلمة للنشاط تخلق البيئة المكانية والزمانية للموضوع مما تساعد على اندماج التلاميذ فى موضوع النشاط، وأيضاً التفاعل مع كل معطيات البيئة، فمثلاً إذا

[1] L.S. VYGOTSKY (1978) Mind in Society, Edited by Michael Cole and others. London,Harvard University Press.

كان موضوع النشاط عن " مصر الفرعونية " أو " مجتمع الاسكيمو ".
فإن تقديم هذا النشاط من خلال عناصر مثل صور، كتب، ملابس، أشكال فنية بسيطة ، ... وذلك من خلال عمل التلاميذ مع المدرس ، تجعلهم يتفاعلون مع تلك العناصر تفاعلا مباشرا من خلال عديد من الجوانب التربوية والفنية، كما أن العناصر المساعدة تخلق الجو النفس للموضوع Atmosphere مما يساعد على توضيح الحدث ، وهذا يساعد على اندماج االتلاميذ فى نشاطهم الذى يمارسونه، كما أن التعليم عن طريق العمل وتفاعل التلاميذ المباشر مع عديد من العناصر التربوية والفنية ومحاولة خلق وابتكار عناصر فنية لموضوع النشاط يجعلهم يمارسون ألوانا مختلفة من العمل ، رسم ، تصوير ، عزف على آلات موسيقية .. الخ أن ذلك ينمى روح التعاون والمشاركة واتقان مهارات كثيرة، بالإضافة إلى أن الأنشطة تنمى القيم الجمالية Aesthetic Values حيث أن المجموعة تتعامل من خلال النظر والسمع واللمس أو من خلال النقد والتحليل لهذه العناصر مما ينمى فيهم قدراتهم الجمالية وروح الأبداع.

إنه من الضروري في ممارسة النشاط التركيز على الاهتمام بالجوانب الفردية والجوانب الجماعية معا، لأن الفرد يشكل المجموع وأن المجموعة وتفاعلها تخلق وتبتكر أفكارا جديدة وكليهما فى بوتقة واحدة، أن الجانب الجماعي، وتفاعل التلاميذ مع بعضهم البعض ومع المدرس له أهمية كبيرة فى تبادل الخبرات والمعارف العقلية والوجدانية ومن ثم فى تطور هذه الجوانب وذلك ما أكده علماء النفس والتربية أمثال فيجتسكى وبرونر.

أن دور المدرس في ممارسة النشاط يعتبر دورا فعالا، ومن المهم أن يكون على دراسة بالجوانب التربوية للتلاميذ، وأيضاً على مهارة في استخدام العناصر المكملة للنشاط، وأن دوره ينطلق من مفهوم المشاركة والمساعدة Teacher as Facilitator وليس من منطلق التلقين أو التحكم في النشاط إنه من الواجب على المدرس أن يحقق ما أطلق عليه فيجتسكى "The Zone of Proximal Development" والتي تساعد على تطوير وزيادة قدرة التلاميذ المعرفية عن أنفسهم وعن العالم من حولهم. إن التعلم من خلال الأنشطة تجربة إجتماعية يمكن للتلميذ بفضلها إكتشاف ذاته وإثراء علاقته بالآخرين وإكتساب أسس المعرفة والمهارات المختلفة التى تذكى شخصيته، وهذه التجربة يجب أن تبدأ فى مرحلة الطفولة المبكرة وأيضا مرحلة التعليم الإبتدائى، لأن مضامين التعليم فى الشوق إلى المعرفة، وتعزيز رغبة الفرد فى التعلم مدى الحياة سوف تنبت وتنمو مع هذه المراحل العمرية الهامة فى حياة الإنسان. إنها رؤية لبناء الشخصية بروح متكاملة على المستويات المختلفة العقلية والنفسية والجسدية من أجل تنمية مستدامة.

نعم هناك صعوبات تواجه كثير من البلدان ـ فى التعليم المبكر والأساسى ـ بما فيها الدول الصناعية الكبرى حول جودة التعليم، وماذا نريد من النشء لتحديات الألفية الثالثة التى فرضت معايير مغايرة للماضى على قمتها تواجد المجتمع العالمى فى آن واحد من خلال التقدم التكنولوجي الذي جعلنا نعيش فى قرية صغيرة شديدة التداخل والإشتباك، ولكن ذلك لا ينفى ضرورة الإنتفاع بمناهج التربية الحديثة لبناء جيل المستقبل.

التعليم ومنهج المشاركة

التعليم الجيد هو الذي يدفع بالدول من حالة الوهن إلى حالة القوة، ويخرجها من دائرة التنمية إلى دائرة التقدم، ويظل الاهتمام بالتعليم جوهر أساسى فى تحريك المجتمع للأمام، لأنه صانع رجال المستقبل، ولأنه القادر على تغيير نسيج المجتمع بأبعاد مختلفة وبرؤى متعددة نحو الإزدهار والرقى بمنظومة الحياة، لذلك سوف نلقى الضوء عن رؤية التعليم من خلال منهج المشاركة كأحد العناصر الأساسية فى تطوير شخصية المتعلم فى منظومة التعليم الحديثة.

إن التعليم من وجهة النظر التلقينية Formal Teaching والتى تعتمد على الحفظ والذاكرة فى فهم ومعرفة المادة العلمية، لم تعد وسيلة فعالة فى تربية النشء، وإنما هى وسيلة تقليدية، لا تصلح لكي نربى عليها الأجيال القادمة، لكي تكون مبدعة وإنما هناك أساليب تفاعلية Interactive Teaching قادرة على بناء جيل مبدع ومبتكر وهذا ما نطمح له فى ظل تحديات كبيرة فى الألفية الثالثة.

" إن هذه المقالة تتناول تجربة فى إطار هذا المفهوم التفاعلى فى مدرسة إبتدائية بمدينة ليدز، بإنجلترا عام 1994"[1].

[1] Mohamed Abou El-khir (1996) Children's Drama, National Library and Archive of Egypt.

كان يدرس التلاميذ فى احدى المواد الدراسية موضوع عن "مصر الفرعونية"، والرؤية التقليدية لتدريس هذا الموضوع، هو النقاش اللغوى حول تاريخ مصر، ما هى أهم الآثار المصرية، ما هى عادات وتقاليد الفراعنة، وما أهم المعالم السياحية فى مصر، ما هى أهمية نهر النيل لمصر؟ ثم على كل طالب أن يكتب خلاصة هذا النقاش فى موضوع إنشائى.

إن تطوير المناهج فى المدرسة الأنجليزية تهدف الى تثقيف المتعلم وذلك في إطار السياسات الجديدة لفلسفة التعليم لديهم منذ أوائل تسعينات القرن العشرين، لكي يكون لدي المتعلم القدرة على التعامل مع الطفل بأسلوب علمي سليم، لكي يبنوا ويطوروا طاقاتهم الإبداعية، حيث أن رعاية الطفل تربويا وثقافيا هي إحدى الركائز الأساسية لبرامج التنمية المستقبلية، حيث يهدف التعليم إلى:

1- تزويد المتعلم بالمعارف والمعلومات التي تتصل باحتياجاته العلمية والثقافية والتي تتفق مع الإمكانيات النفسية والجسمية في كل مرحلة من مراحل النمو.

2- اكساب المتعلم المهارات المختلفة لاكتشاف الموهوبين، وأساليب رعايتهم، وتنمية العقل المبدع والناقد المتعلم، وكذلك بحث وتجريب بعض الأنشطة التعليمية والإبداعية فى شكل عملى.

3- اثارة اهتمام ووعى المتعلم بتوظيف ما يعرفه، وأيضا الاستفادة من الآخرين والوسائل التوضيحية، لفهم المادة التعليمية بخبرة الممارسة.

وانطلاقا من هذه الأهداف، تعتمد التجربة على أستخدام عديد من الأساليب لكي تحقق منهج المشاركة:

مجموعة المناقشة Group Discussion

اعتمد المعلم فى منهج العمل مع التلاميذ على فلسفة مجموعات النقاش، سواء كان ذلك فى إطار المجموعة الكبيرة One Group أوالمجموعات الصغيرةSmall Groups ، حيث ان هذه الفلسفة فعالة وجيدة في تبادل الآراء، والتعرف على وجهات النظر المغايرة، مما يساعد ذلك على خلق رؤى ابتكارية، وأيضا تحس على العمل التعاوني والجماعي، مما تشيع روح الألفة في العمل، وهذا يعين على تفهم الموضوع المراد بحثه. كما أنه من الضرورى فى طرح الموضوعات الأساسية أن تكون في إطار المجموعة الكبيرة، وذلك لتوضيح الهدف العام أو المشكلة الأساسية، ثم بعد ذلك للموضوعات الفرعية، تكون في إطار المجموعات الصغيرة، وذلك لمحاولة البحث بشكل أكثر دقة وأكثر عمق، ثم يحدث أن تتلاقى المجموعات مرة أخرى وهكذا.

وعلى ما سبق، تم اللقاء مع جميع التلاميذ فى مجموعة كبيرة لتوضيح الهدف الذي يرمى إليه الدرس، وهو التعرف على "مصر الفرعونية"، وكان نتيجة النقاش تساؤل مهم، وهو كيف نصل الى معلومات عن مصر الفرعونية؟

قام مدرس الفصل بتقسيم المجموعة الكبيرة الى مجموعات عمل صغيرة، لكي تبحث هذا الأمر؟ وبالفعل تمت المناقشة بين المجموعات الصغيرة،

والمدرس يتنقل بين مجموعة وأخرى، يناقش، ويساعد، ويعلق، ويوجه، وكانت النتيجة كالتالى:

- الذهاب الى المكتبة واستعارة الكتب الخاصة بمصر الفرعونية
- إحضار شريط فيديو عن مصر الفرعونية
- الذهاب الى متحف مدينة ليدز فهناك بعض الصور والتوابيت عن مصر الفرعونية

وعمل الأطفال فى اتجاهات مختلفة لجمع المعلومات، وبأسلوب المشاركة ذادت الناحية المعرفية لدى الأطفال حيث تعرفوا على حقائق لم يدركوها من قبل مثل: إن اللغة الهيروغليفية لغة تكتب عن طريق الصور، إن العالم الفرنسى شامبليون هو الذى عرف وفك رموز اللغة الهيروغليفية التى كانت موجودة على حجر رشيد، وكان ذلك فتحا فى المعرفة، إن حجر رشيد موجود فى المتحف البريطانى فى لندن، إن حياة الملوك مكتوبة ومصورة على جدران المعابد والمقابر، أهرامات الجيزة من معجزات الدنيا، المصرى القديم كان متفوقا فى الزراعة فكان يزرع على ضفاف النيل، وأيضا فى علم الهندسة والدليل على ذلك بناء المعابد والأهرامات. بل والكثر من ذلك إمتدت المشاركة الى إعجاب البعض بصورة توضح تتويج ملك في بهو قصر، وهنا أخذ المدرس يطلب من الأطفال أشياء مختلفة:

- أن يتأملوا الصورة ويحاولوا أن يعبروا عنها بالحركة وقام الأطفال بعمل ذلك
- أن يرسموا موضوعا عن مصر الفرعونية، وقام الأطفال برسم أهرامات، توابيت ذات ألوان ذهبية، الزراعة على النيل..
- يكتبوا جملا باللغة الهيروغليفية، وكتب الأطفال لافتات كبيرة

- يقوموا بتنفيذ بعض الأكسسوارات الفرعونية بالورق والقماش، وعمل الأطفال بعض التيجان، وأحزمة، وأقنعة

وبعد ذلك قام الأطفال مع المدرس بوضع كل هذه الأشياء في الفصل والذي تحول بدوره الى متحف فرعونى صغير، فكر فيه الأطفال وناقشوه وجسدوه واقعا حيا، تحولت الأفكار إلى حقائق ملموسة ومشاهدة فى جنبات الفصل، إن ذلك يجعل المادة التعليمية متكاملة مع عناصر أخرى مما يكسبها قوة ومعنى لدى المشارك والمتلقى معا.

من خلال منهج المشاركة تعرف الأطفال على الموضوع المراد دراسته عن قرب، وأيضا لإيجاد أبعاد جديدة، وطرق غير معروفة لمناقشتها، وتحليلها حتى يمكن الوصول الى حل مشكلة أو وضع تصور، إن هذه العلاقة الجدلية، تولد الأفكار وتولد الأبتكار. ومن هنا فان العملية التعليمية فى إطار هذا المنظور، تعمل على اذكاء قدرات ومواهب الممارسين والمشاركين فى الحدث بالمشاركة اللغوية والجسدية والتخيلية والعملية، وهذا يحقيق مبدأ هام فى التربية وهو " التعليم عن طريق العمل" Learning by Doing ، وهذا عنصر إيجابي في تطوير المنهج التربوي للأطفال من الاتجاه التلقيني الى المفهوم الحديث للتربية، حيث تساهم في بناء شخصية الطفل العقلية والوجدانية والصحية..لكى تحقق له النماء الشامل، والذى يجعله قادرا على مواجهة المواقف الحياتية في بيئته المنزلية، والمدرسية، بأسلوب أخلاقي علمي سوى، لأننا فى حاجة الى تشكيل الأنسان الجديد الذى سنعهد له بدوره الفعال في مرحلة الغير

المستقبلي. ومن هنا فإن المشاركة والتفاعلية تحقق مفهوم الثقافة من خلال زاويتين هامتين فى بناء المتعلم:

الأول، التعريف الإدراكي Cognitive Definitionوهو يتضمن الأفكار والمعتقدات وجميع أنواع المعرفة بصفة عامة عند شعب من الشعوب.

الثاني، التعريف السلوكي Behavioral Definition وهو ينظر الى الثقافة باعتبارها مجموعة الأنماط السلوكية أو طريقة الحياة عند شعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات. لذلك فان هناك علاقة وثيقة بين كل من الجانب المعرفى والجانب السلوكى فى بلورة ثقافة الطفل المتعلم. ان هذا التغيير التعليمى سوف يحدث تغييرا اجتماعيا فى جوهر المجتمع، ومن ثم فان مفهوما جديدا سوف ينمو في عالم تربية الطفل، ويحقق التطور والرقى لهذا الوطن العزيز.

الفصل الثالث اللغة العربية والتحديات

اللغة العربية والتواجد الحضارى

هل يمكن أن نتخيل مجتمعا بلا لغة؟ هل يمكن أن نتخيل العلاقات بين أفراد ذلك المجتمع؟ هل يمكن أن نتصور إنجازات هذا المجتمع؟ أسئلة صعبة، لأن اللغة هى الإتصال، وبدونها ينقطع هذا الحبل المتين من التواصل بين أفراد المجتمع، سواء على مستوى الحاضر أو على مستوى نقل التجارب الحياتية والخبرة المعرفية من الماضى على الحاضر، وعلى ذلك ليس هناك مستقبل، باختصار إن إختفاء اللغة يعنى إختفاء المجتمع، أو بمعنى آخر إن إختفاء اللغة يعنى اللامجتمع، لأنه بغير اللغة ليس هناك هدف أو خطة قريبة المدى أو بعيدة المدى، أو نظام حياة ومن هنا لا توجد ثقافة أو حضارة.

لقد أثبت العلماء فى تجاربهم إن عالم القرود قادر على التعلم، وقادر على الملاحظة، وقادر على تقليد الآخرين، وقادر على عمل حلول إبتكارية لبعض المشكلات التى يواجهها، ولكن على الرغم من ذلك فإن القرود غير قادرين على نقل خبرتهم وما عرفوه لباقى القرود، لكى يستفيدوا مما تعلموه، والسبب الأساسي هو عدم وجود لغة تستطيع أن تحمل تيارات الوعي من جيل إلى أخر، وأن تصنع ثقافة، وهذا بخلاف الإنسان الذي ميزه الله بالعقل، وبمعرفة الأسماء، باللغة التي تستطيع التواصل

والتسامي والتكامل في تنمية التجربة الإنسانية، وأيضاً في نقلها للآخرين، وبالتالي يحدث التطور و التقدم للمجتمع الانساني.[1]

واللغة العربية، لغة الضاد، اللغة هى وسيلتنا للتفاهم مع بعضنا البعض، هى أداة التعبير عن المعانى التى يعبر بها البشر عما فى نفوسهم وأفكارهم من خلال الكلام الذى يتكون من الإسم والفعل والحرف ومن مجموعه تتكون الصور والمعانى والأحاسيس ذات الدلالات المفهومة بين المرسل والمستقبل ـ لأن الأصوات وحدها دون رموز مشتركة بين المتحدث والسامع لا قيمة لها ـ ومن هنا تصبح اللغة عاملا أساسيا فى توثيق الصلات الإجتماعية بين البشر، وأيضا فى المحافظة على المجتمع ذاته، لأنه من خلال اللغة خلق الإنسان نسقا وقانونا ينظم حركة المجتمع.

دلالة مضيئة أن يكون عام 2006 عام اللغة العربية، هذا الهدف النبيل صنع حراكا فى محيط حياتنا الثقافية والعلمية، مؤتمرات عن اللغة العربية، برامج فى الإذاعة والتلفاز، عديد من المقالات فى الصحافة اليومية والأسبوعية، جمعيات أهلية تقيم الندوات، هذا شيء طيب، هذا شيء جميل، ولكن ما نريده للعربية ليس إحتفالا موسميا مرتبطا بمؤتمر أو مهرجان أو برنامج أو ندوة، وإنما أن يكون الإهتمام بالعربية مستمرا ومتطورا من أجل هذه اللغة التى تحافظ على كيان كل الناطقين بالعربية.

تواجه اللغة العربية تيارات متعددة من الثقافات المختلفة بلغاتها المختلفة في عصر العولمة، هذا العصر الذي يحمل سمات جديدة تنطلق من ثورة

[1] انظر ثريا عبد الله: اللغة والمجتمع، دار المعارف، كتابك 152، 1977.

المعلومات، ثورة التكنولوجيا، ثورة الحداثة في الفنون، ثورة العلوم البيولوجية...، هذا العصر الذي فتح تيارات كثيرة من التفاعل الجبري مع وسائل مختلفة ومتعددة منها المذياع، التلفاز، دار الخياله، الصحافة، الحاسوب، الإنترنت، الفضائيات....، إن الفواصل القديمة بين الشعوب أصبحت غير موجودة، وباتت المجتمعات منفتحة على بعضها البعض، ومن ثم أصبحت الكلمات والجمل متداخلة بين اللغات المختلفة فكلمات أمريكية، وإنجليزية، وفرنسية، وإيطالية، وغيرها نسمعها ونعرفها بلغتها الأصلية وبنفس طريقة النطق في بلدها الأم ممتزجة مع العربية، لا بأس من تلاقح الثقافات، فهذا أمر تاريخي ومقبول، ولكن أن يتحول التلاقح إلى سيطرة وإلى محاولة طمث اللغة العربية، فهنا يجب على أهل اللغة العربية أن ينتبهوا لهذا الخطر الواقع من انتشار مفردات وجمل من لغات مختلفة، لمحاولة هضم اللغة كمستهدف لضياع هويتها وتبني ثقافة مغايرة لا تتناسب مع قيم العربية، والأهم من هذا سيطرة اللغة الإنجليزية على مفردات الحياة المعاصرة لأنها الأكثر إنجازاً وتفوقا في مسيرة العلم – وهذا حق نقره، ودرس على أهل العربية الاستفادة منه – لقد تقدم أهل الإنجليزية علينا بالعمل الدءوب في تطوير آليات المنهج العلمي ونجحوا في ذلك، وأيضاً أقاموا معاهد وجامعات ومؤسسات عملها الأساسي تطوير مفردات اللغة الإنجليزية لمستجدات العلوم والفنون وفي نفس الوقت متطلبات الحياة اليومية، صنعوا ذلك بجدية وصبر وقناعة، إن التطور سنة الحياة، وبالتالي يجب على اللغة أن تتطور ولا تقف جامدة متحجرة أمام متغيرات العصر، هكذا كانت القناعة لديهم.

وتواجه العربية أيضا صراعا مع الشارع العربي الذي يفضل أن يستخدم الأسماء الأجنبية سواء في أسماء المحلات، أو استخدام الاسم الأجنبي للمنتجات التجارية، والمبرر في ذلك أن الاسم الأجنبي يعطي للمنتج صفة الجودة – حتى وإن كانت البضاعة غير جيدة ولا مستوردة من الخارج – وهذا الاسم الأجنبي يسهم في التحكم في السعر، بل ويجعل السعر أغلى، الاسم الأجنبي عنوان للرقي والمعاصرة في المظاهر الحياتية، وهذا يتمشى مع عصر الإنترنت والفضائيات. إن اللغة العربية في هذه الأيام تمتزج معها عشوائيات لغوية تشوهها، وتطرح معاني وأسماء بلا معنى، فهي بحاجة إلى قانون يصونها، فهل من الممكن استصدار قوانين تحمي اللغة العربية، وأيضا تحمي المستهلك من هذا التجاوز الذي يحاول أن يزيح لغتنا جغرافياً واقتصاديا ومعرفيا، فمن الضروري المحافظة على هيبة اللغة العربية.

وأذكر هنا موقف الرئيس الفرنسي " جاك شيراك " حينما خرج غاضبا من قاعة المؤتمر الأوروبي فى إحدى الإجتماعات عام 2006، والسبب في ذلك أن أحد رجال الأعمال الفرنسيين قال كلمته باللغة الإنجليزية وليس الفرنسية – لغته الأصلية – إن هذا المشهد يعطى دلاله عن ضرورة إحترام اللغة الأصلية بل والتعصب لها، ومن الضرورى تقديم هذه اللغة ـ الأم ـ فى المحافل الدولية.

اللغة تحيا بأهلها، وعلى أهل اللغة ضرورة أن تكون اللغة العربية مرنة فى التعبير عن لغة العلم والمعرفة ولمسميات حديثة فى شؤون الحياة والحضارة، لأن اللغة تتاثر بالمجتمع والظواهر الإجتماعية فيه، وكان

ومازال من أهم أهداف مجمع اللغة العربية والذى أفتتح عام 1932،" الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ومستحدثات الحضارة المعاصرة، والعمل على وضع معجم تاريخى لغوى، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة فى مصر وغيرها من البلاد العربية إصدار مجلة تنشر بحوثا لغوية، والعناية ايضا بتحقيق بعض نفائس التراث العربى التى يراها ضرورية لأعماله ودراساته اللغوية ولوضع المعاجم"[1] ، هذا واحد من المؤسسات الهامة فى عالمنا العربى، ولكن الدور أيضا وفى نفس الوقت يقع على الجميع الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام للإرتقاء بهذه اللغة.

يقول العقاد فى كتابه اللغة الشاعرة " ومن واجب القارىء العربى إلى جانب غيرته على لغته أن يذكر انه لا يطالب بحماية لسانه ولا مزيد على ذلك، ولكنه مطالب بجماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنسانى، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وأن بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله...لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطقان به فى كلام منظوم أو منثور."[2] اللغة مرآة الأمة، ترتفع برفعتها، وهي تواجه تحديات كثيرة من داخلها ومن خارجها، اللغة بحاجة إلى الدراسة والتنمية فى أساليبها ومفرداتها ومصطلحاتها، من أجل روح جديدة، لعصر جديد من المعرفة الإنسانية، واللغة أحد مفرداته للتواجد الحضاري.

[1] د. محمود حافظ: مجمع اللغة العربية موجز عن تاريخه وانجازاته، روزاليوسف، 2007، ص 6.
[2] عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر، 2004، ص5.

تحديات اللغة العربية

العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة جوهرية، كالعلاقة بين الروح والجسد فى الإنسان، والشكل والمضمون فى العمل الفنى، إنها إرتباط وثيق، كل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر فى وحدة عضوية، وكما يقول د. على عبد الواحد وافى ـ فى كتاب " اللغة والمجتمع " ـ " اللغة ليست من الأمور التى يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار، وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعليم والمحاكاة، كما يتلقى عنه سائر النظم الإجتماعية الأخرى، ويصب أصواته فى قوالبه، ويحتذيه فى تفاهمه وتعبيره."[1]

واللغة من خلال ذلك المنطلق ظاهرة اجتماعية، تتأثر سلبا وإيجابا بالظواهر والمتغيرات الإجتماعية الآخرى التى تنتج من داخل المجتمع، أو التى تتوافد على المجتمع من الخارج، وعلى ذلك أيضا هناك العديد من العناصر المتداخلة والمتشابكة التى تؤثر على معرفة وإتقان وتطوراللغة العربية، تلك اللغة التى تشكل عقل ووجدان هذه الأمة، وسوف أتحدث هنا عن عنصرين هامين فى هذا المقام.

[1] د. على عبد الواحد وافى: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1971، ص 4.

العنصر الأول هو الأسرة التى تعتبر الركيزة الأساسية فى تكوين الطفولة والنشء، فتأثير الأب والأم والأخوة فى الأسرة له أبعد الأثر فى بيئة سليمة للتعرف على اللغة العربية معرفة صحيحة، وأيضا خلق بيئة ثقافية ترتقى باللغة وتساعدها على النمو من خلال النطق السليم، وتصحيح الأخطاء، بالإضافة إلى اعتبار الكتاب عنصرا جوهريا فى تكوين الأسرة مثل المأكل والملبس، فالكتاب غذاء العقل والروح، إن هذه البيئة المدركة لدور اللغة فى الإرتقاء بالشخصية وأيضا فى تكوين مفردات التفكير المنطقى والعلمى للعقل تساعد كثيرا فى النضج للغة العربية لدى أهلها، وعلى النقيض من هذا هناك ظاهرة خطيرة تتمثل فى محاولة بعض الأسر أن تجعل من تعلم اللغة الأجنبية فرضا واجبا وضروريا، بل ويعلو ويسمو على تعلم اللغة الأم وهى العربية، وكأن الإنطلاق إلى عالم النجاح والتفوق مرهون بإتقان تلك اللغة، ولا يهم بعد ذلك أى شىء، وهنا تنشأ مشكلة ، حيث يتنازع الطفل أو الشاب صراع بين اللغة الأم واللغة الثانية، وتحت ضغط الإلحاح تتفلت أبجديات اللغة الأم من حيث المنطوق الصوتى لحروف اللغة، وكذلك المنظور الرسمى لكتابتها عن دائرة الإهتمام العقلى والوجدانى، ومن هنا تختفى اللغة الأم فى عباءة اللغة الجديدة، وتنتصر اللغة الجديدة بثقافتها على اللغة القديمة، لأن اكتساب اللغة الثانية يتوقف على عوامل بيئية تساعد على التفاعل مع هذه اللغة، وأيضا عوامل وراثية وعقلية للإنسان تمكن المتعلم من الفهم ومعرفة صوتيات وقواعد اللغة الآخرى وكيفية التعامل بها فى المواقف والأحداث المختلفة، والبيئة فى هذا الإطار مساعده، ومن ثم تصبح اللغة الجديدة ذات نفوذ قوى فى فرض ثقافتها وحضارتها، نعم إن العالم الذى نعيشه اليوم بكل ثوراتة العلمية المتزايدة السرعة، وبكل تنوعه الثقافى والمعرفى

يتطلب منا أن نعرف على الأقل لغة ثانية ـ بشكل متقن ـ إلى اللغة الأم لكى ننفتح بها على العالم الآخر، ونطل بها على الثقافات المختلفة، لكى نتعرف على الحضارات، إن هذا الإنفتاح الثقافى لفهم الآخر واحده من ضروريات الحياة المعاصرة، وذلك لصنع جسر من التفاعل الثقافى مع الآخر، ولكن هناك شرط لتعلم تلك اللغة الثانية، وهو آلا تضيع حق اللغة العربية فى معرفتها وتذوقها وفهم جمالياتها، لأن اللغة العربية هى دستور الأمة وهى أيضا الوعاء الثقافى والحضارى لها.

لن أتحدث عن العلاقة بين العامية والفصحى، ولكنى سوف أتطرق إلى لغة آخرى تخلقت من ظواهر إجتماعية فى بيئتنا العربية وهى مستحدثات للغة العامية التى تعطى كلمات، ومفردات ، وجمل وتراكيب غير منطقية، ولكنها أصبحت ذات دلاله بين المرسل والمستقبل، وبخاصة فى جيل الشباب، هذه الركاكة الصوتية، وهذا التشويه لمفردات الكلام، والجمل العشوائية أصبحت ظاهرة يجب محاربتها وعدم السماح لها بالتواجد فى محيط الحديث اليومى، وللأسرة دور كبير فى المساهمة لتصحيح هذا التوجه الركيك وتحويله إلى سلامة فى النطق وجمال وذوق فى الكلمة والعبارة.

أما الأسرة الثانية التى يقع عليها واجب كبير فى تطوير اللغة، وفى المحافظة عليها، إنها أسرة مجمع اللغة العربية ـ مجمع الخالدين ـ حيث سدنة اللغة ومحبوها وعاشقوها، وإذا كان لمجمع اللغة العربية إسهامات كثيرة فى حراسة اللغة، والعمل على تطويرها أمام فيضان المعرفة، مثل مناقشة قضايا : " اللغات فى عصر العولمة " ، " الثقافة العربية فى

عصر العولمة " تيسير النحو "، " العربية لغة المعمورة الفاضلة فى القرن الحادى والعشرين "، " إنشاء مرصد لغوى للمصطلحات "، " التخطيط اللغوى ودوره فى تطوير اللغة العربية "، " اللغة العربية وتطور الحاسوب" ـ تطويع الحاسب الآلى للغة العربية وبحث المشكلات الناتجة عن إستخدامه ـ وعمل معاجم لمصطلحات فى الهندسة والنفط، والفيزيقا، والأنثروبولوجيا، والإقتصاد، والفلسفة الإسلامية، والطب، والزراعة وغيرها، إلا أنه كان لمجمع اللغة العربية فى الشهر الماضى إضافة مضيئة ـ تتوج ما أنجزه ـ وذلك فى مؤتمر المجمع فى دورته الثانية والسبعين مارس 2006 والذى كان موضوعه الرئيسى " المعجم التاريخى للغة العربية "[1] والذى يعتبر نقطة تحول بالنسبة للمؤتمرات السابقة، لأن " المعجم التاريخى للغة العربية " يعتبر علامة هامة فى تاريخ مجمع اللغة العربية، من أجل دعم الجهود التى بدأت فنيا وتنظيميا لتسجيل تاريخ اللغة العربية وثقافتها عبر العصور فى مختلف البلدان، وكذلك تفعيل القرارات والتنظيمات التى صدرت بشأنه، وهذا للتحديات التى تواجهها اللغة العربية، فمن الضرورى أن يكون هذا المعجم كنزا معرفيا عصريا ومعينا للمشتغلين باللغة بشكل خاص، وأيضا لأهل اللغة بصورة عامة، وعلى سدنة اللغة وحماتها ورجالها أن يحتشدوا لهذا العمل العلمى الجلل، الذى يتحدى لغة العصر بتطوراتها، ويتحدى أيضا الركاكة والضعف والوهن فى المفردات والجمل المنتشرة والمستحدثه التى أصابة بيئتنا العربية، وذلك من أجل أن تعود للغة العربية مكانتها بين الأمم وفى المحافل العلمية والثقافية، وتصبح اللغة العربية بوتقة تنصهر فيها منجزات الحضارة، إن هذا المشروع هو مشروع النهضة العربية.

[1] مؤتمر مجمع اللغة العربية فى الدورتة الثانية والسبعين، 20 مارس – 3إبريل 2006، القاهرة.

ولعل من أهم الموضوعات التى يجب أن يلتفت إليها أهل العربية هو العمل على دعم الهيئات غير العربية المعنية بتعليم اللغة العربية فى بلادها ماديا وأدبيا، وتوثيق العلاقات بيننا وبينهم بما يحقق للعربية الإنتشار والإزدهار، وخير دليل على ذلك أن إقتراح فكرة المعجم التاريخى كانت بمبادرة المستشرق الألمانى فيشرعضو المجمع الراحل، وعاشق اللغة العربية، ولكن جهوده توقفت نتيجة الحرب العالمية الثانية، وعدم قدرته على الإتصال بالمجمع، ثم بعد ذلك كان رحيل هذا المستشرق، لكن تظل الفكرة " كتلة منيرة " فى محراب اللغة العربية منذ أكثر من خمسين عاما، وعلى أهل العربية أن يستنيروا بهذه الفكرة، وأن تأخذ حيز التنفيذ بشكل عملى وعلمى، وتفعيل القرارات إلى برامج عمل، لأن الوقت لا ينتظر، ولأن إيقاع سرعة التطور لمنظومة الحياة فى كل جوانبها شديدة السرعة، وعلى الأمة العربية أن تلحق بالركب الحضارى.

إن قضية اللغة العربية ليست قاصرة على هاتين الأسرتين فقط، وإنما تمتد إلى أسر كثيرة، المدرسة والإذاعة والتلفاز وجمعيات المجتمع المدنى وغيرها، ودور هذه المؤسسات دور حيوى وجوهرى فى تفعيل إستخدام اللغة العربية إستخداما صحيحا وفى المحافظة عليها حتى تصبح العربية لغة العلم والعالم كما كانت فى عصورها المزدهرة، لا أريد أن أتحدث عن الماضى البعيد، علينا أن نبدأ الآن، لآن المستقبل يبدأ الآن.

الدكتور محمود حافظ نجم في سماء مصر

دعوة كريمة من المجمع العلمي المصري لحضور ندوة عن الموسيقي في حياتنا المعاصرة في نهاية يناير الماضي تلقيها د. رتيبة الحفني، الجمهور جمع من علماء مصر يستمع في وقار لدور الموسيقي في الارتقاء بوجدانيات الإنسان، وعن علاقة الموسيقي بمنظومة المجتمع كيف تتأثر به سلبا وإيجابيا من خلال الكلمة والصوت والنغمة والحركة والصورة الكلية للعمل الفني، إنها علاقات متبادلة بإيقاعات متباينة، ما ألطف أن يتجمل العلم بالفن وأن ينظم الفن بالعلم، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، جدد هذا اللقاء تداعيات وذكريات حينما كنت أدرس في جامعة ليدزLeeds University بإنجلترا حيث كان هناك مؤتمر للرياضيات عام 1988، وألقت د.روث لورانس تلك الفتاة ذات السبعة عشر ربيعا، نابغة الرياضيات والحاصلة علي درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد في هذه المرحلة العمرية محاضرة أذهلت الأساتذة والحاضرين، إنها عبقرية في التحليل، وقوة باهرة في أسلوب الحوار والمناقشة، أردت أن اقترب من عقل هذه الشخصية وأعرف كيف تفكر.

وسألتها عن دور العلم، وكانت الإجابة بأن العلم هو قاطرة المجتمع للأمام ولكن الفن يلعب دورا هاما لهذه المساحة الرحبة للخيال، وقالت بإن العلم لكي يؤدي رسالته علي أكمل وجه يجب أن يقترن بالفن، وعلى الفن أيضا

أن يأخذ بقواعد العلم فكلاهما يحتاج للآخر. ذكرتني روث بمقولة أينشتاين حينما قال إن الخيال أهم من المعرفة، وأنا أري أن كليهما نحتاجه وما أجمل أن يتحلي العلم بالخيال ولولا أن الإنسان أطلق لخياله العنان ما استطاع أن يصعد للقمر ويذهب للمريخ.

كان يدير الندوة في هذه الأمسية الممتعة عالم جليل ذو بسمة وضاءة وتواضع جميل، ولغة رفيعة، وفكر متقد، إنه واحد من علماء مصر الأجلاء الذين يعملون ليل نهار لرفعة وتقدم وازدهار هذا الوطن ما أجمل هذه المنارة العلمية في عامها الخامس والتسعين ما أجمل هذه المنارة تتحرك بدأب وتشع نورا يهدي كل طلب للعلم والمعرفة مثل النحلة النشطة التي تعمل منذ الصباح الباكر في بستان مجمع اللغة العربية ثم تنتقل إلي الجامعة، وفي المساء في بستان المجمع العلمي المصري، هذا فضلا عن لقاءات الأصدقاء والتلاميذ والتي هي أيضا لقاءات حياتية تهتم بقضايا أبناء الوطن في ثوب علمي ، إنها حياة النظام والانضباط والإنجاز.

إن هذه النحلة إنما هي العالم الكبير د. محمود حافظ، شيخ علماء مصر والعالم العربي، الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة، رائد علم الحشرات، الحائز علي جائزة مبارك في العلوم لعام 1999، الحائز علي جائزة الدولة التقديرية في العلوم عام 1977 ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولي عام 1978 وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولي عام 1981 رئيس المجمع العلمي المصري ورئيس مجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) نشر مايزيد عن مائة وستين بحثا في المجالات العلمية

المتخصصة في مصر والخارج، مئات المؤتمرات العلمية طواف حول العالم لندن، باريس مدريد واشنطن ، طوكيو، فلورنسا، بكين ، الخرطوم، دمشق، تونس ... عضو المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي، رئيس الاتحاد العلمي المصري.. عضو وزميل العديد من الأكاديميات العلمية الدولية منها الجمعية الملكية للعلوم لندن، اللجنة الدولية للعلم والتكنولوجيا للدول النامية، أسهم في ترجمة نحو خمسة آلاف مصطلح في مختلف التخصصات العلمية لأنه مترجم حاذق يملك نواصي كل من اللغتين العربية والإنجليزية، وذلك بإشراف الاتحاد العلمي المصري والمجلس الأعلي للبحث العلمي مع بعض علماء المجمع ، عشرات الكتب العلمية المؤلفة، أشرف علي أكثر من ثمانين رسالة ماجستير ودكتوراة... هذا نزر يسير في رحلة هذا العالم الحافلة بالإنجازات العلمية التي لايتسع المقام هنا لذكرها لأنها تحتاج إلي مجلدات كثيرة ولكن من منظوري إن مسيرة هذا العالم الجليل ذات دلالات ناصعة أرغب أن أتوقف عندها:

أولا: قيمة المواطنة بمعناها العميق والواسع وبكل مافيها من إحساس بالانتماء للأسرة العلمية في داخل الجامعة وخارج أسوارها، وأيضا للأسرة المصرية ككل، يعتز ويتمسك بها ويعمل على تطويرها ورفعتها في الوطن العربي والمحفل الدولي إنه يعمل من أجل هذا الوطن.

ثانيا: إن د. محمود حافظ لم يبعثر وقته هباء، لم تتسرب الأيام والساعات والثواني من بين يديه كما يتسرب الماء وإنما أدرك أن إيقاع الزمن الذي نعيش فيه الآن إيقاع سريع وهو يختلف عن الأزمنة السابقة، لأن السباق علي أشده في العلوم والتكنولوجيا وتطبيقاتها لذلك أخذ يعمل بجهد متميز مستفيدا بكل ثانية من وقته، لأن الوقت شئ هام جدا، يقولون الوقت من ذهب، يقولون الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. ود. حافظ يدرك أن

الوقت لايمكن تقديره ومعادلته بشئ، لأن الوقت هو الحياة إن الوقت عنصر من العناصر الكونية التي منحها سبحانه للإنسان ومن ثم يجب أن نستثمره في كل ماهو مفيد وخير، لذلك كان وقته بين المحاضرات والأبحاث والندوات والمؤتمرات.

ثالثا: إن هذا العالم لم يأخذ بلغة الاستسهال التي تتعامل مع قشور وعمومية المعلومات في الموضوعات التي يبحثها على طريقة خذ معك Take Awayوإنما ينهج نهجا علميا مدققا وباحثا في أمهات الكتب وتحت الميكروسكوب في داخل المعمل يحاول اكتشاف الحقيقة حاملا مسئوليته العلمية بأمانة العلماء بكل الجد والثقة.

رابعا: إطلالته على الثقافات الأخرى جعلته واسع المعرفة وعلما من أعلام الفكر والثقافة في عالمنا الذي يتسم بالتعددية الثقافية فالعالم يحتاج إلى الحوار مع الثقافات المختلفة لكي يبدع فكرا جديدا..

خامسا: تواصل الأجيال حيث كون د. محمود حافظ مدرسة علمية تخرج منها أجيال كثيرة من العلماء نهلوا من علمه الواسع وعملوا معه في مشروعاته البحثية، لم يبخل عليهم بمعرفته الموسوعية ولم يدخر جهدا لمساعدة من يريد المساعدة إنها المجموعة الحافظية HAFEZ GROUP إنها الاستاذية التي جوهرها العطاء ويقول أحد تلامذته عالم الجيولوجيا د. حافظ شمس الدين " وتستمر رحلة العناء الجميل مع الدكتور محمود حافظ في معمله وصومعته لينقب ويبحث ويختزن في ذاكرته اللامعة وذهنه الخصيب وقريحته الوقادة حتي صار بحرا تتلاطم أمواجه بضروب العلم واللغة والمعرفة وصارت بحوثه مرجعا لكل باحث ودارس.. فهو بحق عبقري بارع في وقت عزت فيه العبقرية، وقد لا

أبالغ حين أقول إن الدكتور محمود حافظ عشر مواهب في شخص واحد."[1]

ويقول شعرا د. محمد يوسف حسن يصف سمات هذا العالم :

اليوم عيد مشرق ومجيد للشعر فيه ترنم ونشيد
لمعلم بلغ الذرا في علمه في الحق ثبت، فارس، صنديد
هو حافظ للعلم، أسطون له ثبت بعيد الشأو فيه، وطيد
هو صادق في الوعد ملتزم به ووعوده دين عليه أكيد
دمث السجايا، والشمائل عذبة لبق الحديث، ومعجب، وودود
فطن البديهة والفكاهة عنده فن جميل مابه تقليد
في العلم بحر، في البلاغة ساحر أستاذ جيل، قيم، وعميد [2]

ما أسعد مصر بهذا الطراز الفريد من الرجال الذين يغيرون من صفحة الحياة إلى الأجمل والأفضل إنهم القدوة الحقة في مسيرة الحياة.. دعاء من القلب أن يديم على عالمنا الصحة والسلام، ويديم عليه أيضا نعمة العطاء للعلم وللغة العربية هذه اللغة الكريمة، وللوطن العزيز مصر.

[1] د. حافظ شمس الدين عبد الوهاب: إطلالة على حياة عالم مصرى فى عامه التسعين، دار الجمهورية، 2003، ص 193.
[2] نفسه ص 143، 144.

الفصل الرابع
اليابان وقيم العصر

اليابانيون هم اليابان !

يقول عالم الاجتماع إزرا.ف. فوجل Ezra F Vogel في كتابة المعجزة اليابانية " رغم أن اليابان لا تملك بعد أكبر ناتج قومي إجمالي في العالم، ولا هي الدولة التي تقود العالم سياسيا أو ثقافيا، إلا أنني كلما لاحظت نجاح اليابان فى شتى المجالات ازددت اقتناعا بأن اليابان – بالنظر إلى مواردها المحدودة – قد تعاملت مع الكثير من المشكلات الأساسية للمجتمع الصناعي المتقدم بشكل أكثر نجاحا من أى دولة أخرى، ومن هنا أصبحت مؤمنا بأن اليابانيين هم رقم واحد ".[1] اليابانيون ظاهرة فريدة بين المجتمعات الإنسانية لتفوقهم، وأول تعلقى بالشعب اليابانى إنما ترجع لجملة إنجليزية ـ مازال عطرها مشعا فى نفسي حتى الآن ـ فى أحد الكتب المدرسية، والجملة تقول " اليابانيون أناس مؤدبون ونشيطون Japanese are polite and active people" والرسالة التى تحملها هذه العبارة هى الإحترام، الإنضباط، تقدير الأخر، ومن ثم فالتقاليد شيء أساسى فى المجتمع اليابانى، وحالة النشاط عندهم تتسم بالجد والصبر والدأب الذى يترجم إلى عمل بناء يرتقى بالمجتمع.

اليابانيون يطورون من أنفسهم بشكل دائم، لأن التطور حالة حركة وإستمرار لأن التطور لا يتوقف، وهناك مرحلتان هامتان فى تاريخ اليابان فى العصر الحديث الأولى مع الإحياء الميجى فى عام 1868،

[1] إزرا.ف. فوجل: المعجزة اليابانية، ترجمة، د. يحيى زكريا، اللف كتاب الثانى (240)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 8.

لتبدأ اليابان تبنى دولة صناعية ترسانات السفن، مصانع الصلب، مصانع الأقطان، السكك الحديدية، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية 1945 حيث تبنت اليابان نظاما ديمقراطيا نادى بحق الإنتخاب وحرية التعبير، والتعددية الثقافية وحق المرأة، فها هي قصيدة تقول

جاء يوم تتحرك فيه الجبال
ولا أحد يصدقنى، أقولها، ولا أحد يصدقنى
نامت الجبال طويلا
ولكن، فى زمان سحيق، كانت كلها ترقص باللهب
لا أحد يصدقنى، ولكن لا بأس
يا أصدقائي، إن كنتم تصدقون
تصحو النساء النائمات جميعا
تصحو الآن، وتتقدم [1]

واليابانيون الآن يحاولون أن يعيدوا صياغة علاقتهم بين الفرد والمجتمع داخل البيئة اليابانية، وعلاقة اليابان مع المجتمع الدولى وفق المتغيرات العالمية، إنها ديمومة التطور.

إننى هنا فى هذا المقال لا أقدم صورة تحليلية للمجتمع اليابانى، وإنما أقدم بعض النماذج المضيئة التى تعين على فهم هذا المجتمع الآخر، الذي حقق انتصارات كبيرة فى فترة زمنية وجيزة أو بمعنى آخر إننى لا أرسم صورة ثنائية أو ثلاثية الأبعاد عن اليابان، وإنما هى محاولة للإقتراب وتحليل وقائع من المجتمع اليابانى تقدم قيمهم التى أتوا بها إلى العصر الحديث الذي يحمل كثيرا من قيم التقدم فى مسيرة التاريخ الإنسانى، هذا

[1] باتريك سميث: اليابان رؤية جديدة، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة 268، الكويت، أبريل 2001، ص 207.

العصر الذي يفرض علينا أن نكون متطورين ومبدعين، وفى نفس الوقت نحافظ على هويتنا وطابعنا الثقافى.

رغم هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية، ورغم إستسلامها إلا أنه تم إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى، وفعلت ما فعلت القنبلة الذرية من دمار إنسانى وبيئى، ولكن هيهات، اليابانيون يتمتعون بروح قتالية فولاذية، إن السر يكمن فى الروح التى يمتلكها اليابانيون من حبهم لبلدهم فهم على إستعداد ليدفعوا بحياتهم دفاعا عن وطنهم، بل إنهم يفضلون الموت عن قبول الهزيمة لوطنهم. يتذكر المخرج اليابانى اكيرا كيروساوا ـ واحد من أهم أعمدة السينما العالمية ـ فى مذكراته عن سنوات الحرب " أغنية كان مطلعها (أبى أنت رجل قوى يا أبى) وهو فى نفس الوقت يرغب فى الحديث عن أمه بأغنية أخرى تقول (أمى أنت شخص غير عادى يا أمى) " [1] إنها القدرة العجيبة على الصبر وعلى التحمل، إنها القدرة العجيبة التى تمتلك الإرادة والعزيمة لتجاوز محنة الواقع.

وإذا إنتقلنا إلى مجال الإقتصاد يقول أحد خبراء الإدارة العالميين " عندما يفشل مشروع إقتصادى فى أوربا تستغنى الإدارة عن العمال، وعندما يفشل مصنع فى اليابان تتغير الإدارة ويبقى العمال..." إنه العمل من أجل بناء إقتصاد قوى، إنها المنافسة والتحدى من أجل التفوق، إنه القرار الذى يدرس من حارس المصنع والعامل ورئيس القسم حتى مجلس الإدارة، ومن ثم فالقرار حكيم وفى موضعه، إن السبب الحقيقى وراء تقدم اليابان هو تكتل اليابانين وإحساسهم أنهم فرد واحد، يسعى إلى صنع دولة قوية

[1] اكيراكوروساوا: ما يشبه السيرة الذاتية، ترجمة فجر يعقوب، منشورات وزارة الثقافة، الفن السابع 16، دمشق، 1996، ص 40.

ذات إقتصاد قوى ينافس الإقتصاد الأوربى والأمريكى، ومن أجل حبهم لوطنهم اليابان، يفنى اليابانى حياته فى العمل، بغض النظر عما يتقاضاه عن عمله هذا، فدقة عملة الشديد، وإخلاصه لما يقوم به من بناء وزراعة وصناعة، كل ذلك يؤدى فى النهاية إلى هدف واحد ألا وهو " دولة غنية متقدمة " وهذا هو هدفهم الأسمى، فإذا ما تحدثنا عن دور الجماعة فى صنع الإقتصاد اليابانى القوى، فهناك كثير من الشركات بدأت برجل واحد وأخذ هذا الرجل يعمل ويكد وينمى تجارته حتى بدأ كيان شركته ينمو ويكبر ويدخل معه الشركات الصغيرة حتى صارت شركة كبيرة، لأن كل صغير إذا ما أصبح كتلة واحدة فى كيان واحد، تضخم وأصبح قوى للغاية، هكذا يؤمن اليابانيون. وبذلك انتشرت مجموعة شركات عملاقة فى جميع أنحاء اليابان بل فى جميع أنحاء العالم وتقوم هذه الشركات بتصدير قطع غيار ومستلزمات مختلفة للصواريخ والأقمار الصناعية ومركبات الفضاء للعديد من وكالات الفضاء، وهى فى نفس الوقت تنتج الأجهزة المختلفة لأغراض الحياة اليومية تليفزيون، كومبيوتر، تليفون، ثلاجة، سيارة،....بل ويصل الأمر إلى المأكولات والمشروبات، إنها ليست شركة وإنما مجموعة شركات صغيرة كونت شركة عملاقة تنتج من الإبرة إلى الصاروخ كما يقال، أمر عجيب، ولكن السبب فى هذا التقدم يكمن فى مفهوم العمل الجماعى لليابانيين وتطبيقهم له بصورة جيدة، إن النجاح أيضا للمؤسسات اليابانية يرتبط بما تم إستحداثه من هياكل إدارية عصرية، وبما تم إبتكاره من برامج وسياسات وآليات عمل واعيه لما تقوم به.

وفى مجال الطفولة حيث التعلم تبدأ الدراسة الشاقة المكثفة التى تهدف إلى بناء جيل يابانى ذكى وقوى ويعتمد عليه فى المستقبل لكى يكمل مسيرة من سبقوه، ولكن لم تنس المدرسة اليابانية أن توفر لهذا الطفل حق اللعب والإستمتاع بطفولته كما تفرض عليه ما يدرسه، فلا تخلو مدرسة يابانية صغيرة كانت أم كبيرة من ملاعب جديدة شاملة كل الألعاب الرياضية ومراكز لتنمية المواهب الصغيرة كالرسم والموسيقى والفنون اليابانية التقليدية القديمة كفن تنسيق الزهور وصنع الشاى اليابانى، وفنون تنمية ذكاء ومهارات الطفل من أحدث أجهزة الكومبيوتر والألعاب الإلكترونية الحديثة، فكما نرى أن كل التكنولوجيا والثورة الصناعية فى اليابان هى لخدمة الطفل اليابانى ولحياة أفضل للأسرة اليابانية.

إن الإهتمام بعالم أخر ينبع من السعى من أجل معرفة نموذج آخر، حضارة آخرى، إن ذلك يعمل على الثراء الحضارى، إن التقابل والتلاقح مع الحضارات الآخرى يصنع إغتناءا حضاريا يفرض نفسه، لأنه من الضرورى أن نواجه أنفسنا بصراحة، ومن الضرورى أيضا أن ندرس القضايا التى تطرحها تلك النجاحات، من هنا يمكن أن نعدل من رؤيتنا للأشياء، ومن معالجتنا للأمور لأنه لابد من تطوير الأفكار والأدوات بحيث تسمح بأفكار تجديدية. وإذا كنا نؤمن بالتفاعل مع الآخر، وإحترام الآخر، فمن الضرورى فى نفس الوقت أن نتعلم منه.

اليابان وعصر المعرفة

إن الإنسان في مسيرته التاريخية مر بمراحل وأبعاد مختلفة، البعد الأول: كان بعدا رعويا يحاول التعايش مع الطبيعة، وكان البعد الثانى: بعدا زراعيا وكان هدفه اقامة الجسور والشبكات الإجتماعية، وكان البعد الثالث: بعدا صناعيا هدفه إحكام السيطرة على الطبيعة وتكوين مجتمع المدينة الصناعى، أما البعد الرابع: فكان بعدا معرفيا وهدفه اختراق حاجز الزمان والمكان.. ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي الإتصالى الذي سيطر على الثقافة والحضارة الإنسانية ظهر المجتمع اللامكانى Spaceless society.

ومن ثم إن العالم يتغير، ولم تصبح الحدود المكانية والزمانية تتحكم فيه، بل ظهرت مجتمعات معرفية جديدة لاتعترف بتلك الحدود، وذهبت فيما وراء الزمكانية، نتيجة تطور وسائل الإتصالات الإلكترونية، وما يستحدث من تكنولوجيا جديدة، فى عصر المعلوماتية. ومن هنا يبرز سؤال ضرورى وهو ماذا علينا من دور جديد فى هذه المنظومة؟

إن الألفية الثالثة منحنى تاريخى جديد على خريطة التطور الإنسانى، يتضمن هذا المنحنى عديد من المتغيرات: أولا الاكتشافات العلمية، ثانيا الثورة التكنولوجية، ثالثا ثورة الإتصالات، رابعا العولمة، وبالتالى هناك معيارية جديدة للمجتمع، ولا بد لهذه المعيارية من تصور يتفاعل معها. يقول بيل جيتس فى كتابه المعلوماتية بعد الإنترنت " سوف يأتى يوم ،

ليس ببعيد كثيراً ، يصبح بإمكانك فيه أن تدير أعمالك ، وتدرس ، وتستكشف العالم وثقافاته ، وتستدعى على شاشة جهازك أى حفل أو عرض مسرحى كبير ، وتكسب أصدقاء جددا ، وتشهد ما تعرضه أسواق المناطق المجاورة وتعرض الصور على أقاربك المقيمين فى أماكن نائية .. دون أن تترك مكتبك أو كرسيك، ولن تخلف وراءك وصلتك مع الشبكة، في مكتبك أو فى مقعد الدراسة: إذ ستتعدى كونها شيئاً تحمله أو أداة تشتريها، لتصبح جواز مرورك إلى طريقة حياة جديدة قوامها الوسائط." [1] ولكن الواقع الحضاري اليوم صنع متغيرات كثيرة سواء على المستوى السلوكى أو المعرفى أو التقنى، ومن أهم هذه المتغيرات تكنولوجيا المعلومات التى تقوم على الإلكترونيات، والإتصالات والحاسبات الإلكترونية، إن هذا التطور الإلكترونى نتج عنه تقارب واندماج بين أجزاء العالم حتى أصبح قرية عالمية Global Village قائمة على شبكة اتصالات، وهذا بالطبع فرض نفسه على الواقع الثقافي والمعرفي. إن التقدم التكنولوجي يجعلنا نتعامل مع الأشياء بطريقة مختلفة، فمثلا جاءت شبكة الأنترنت Internet لتصبح وسيلة جديدة للتخاطب والحوار بين الأفراد والمؤسسات خارج الوادي الضيق ولكن وعبر القارات، وهذه الطريقة المختلفة تدفعنا الى آفاق إبداعية جديدة نحو المعرفة.

اليابانيون يحبون المعرفة، ويتطلعون إليها بكل عزم وتصميم، إن المجتمع اليابانى يسعى إلى المعرفة بكل قوة وإرادة حقيقية لأن المعرفة جوهر

---

[1] بيل جيتس: المعلوماتية بعد الأنترنت، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة 321، الكويت، 1998، ص 17،18.

التقدم. اليابانيون من الشعوب الشغوفة بالقراءة، ونسبة قراءة الكتب والجرائد والمجلات تمثل من أعلى النسب فى العالم الصناعى، فهم يؤمنون بأن القراءة نافذة على العالم، وعلى الحضارات عبر التاريخ، فهم يرغبون فى التعلم ومعرفة الآخر، وحكى لى صديق حكاية طريفة ـ لكنها ليست بطريفة على اليابانين ـ فى إحدى زياراته لمعرض فرانكفورت الدولى للكتاب، أنه تعرف على شاب يابانى كان يقلب فى الكتب على الأرفف بدقة وتركيز شديدين، ونظرا لأن صديقى أيضا شغوفا بالمعرفة فكان يتنقل فى أماكن مختلفة من المعرض، ولكن بدون ترتيب أو قصد، كان صديقى يجد ذلك الشاب أمامه أينما حل، يتنقل بين الكتب وكأنه نحلة تجمع رهيق الأزهار فى نشاط بالغ، فأثار سلوك اليابانى هذا فضول صديقى، لكى يتعرف عليه ـ وبالطبع لغة المؤتمرات والمعارض الدولية هى اللغة الإنجليزية فقد إستطاع أهلها أن يجعلوا منها لغة عالمية، لأن اللغة تحيا بأهلها ـ وسأله صديقى: هل تسمح لى أن أسألك سؤالا؟ فرد عليه اليابانى بلغة إنجليزية متقنة وبإحساس محايد: نعم. وسأل الصديق: هل أنت كاتب؟ فرد اليابانى: لا. وسأل الصديق: هل هذه هى المرة الأولى التي تحضر إلى ألمانيا؟ ورد الياباني: هذه هى المرة الخامسة. وسأل الصديق: ولكن ماذا تصنع هنا؟ فرد اليابانى: أنا هنا مع أربعة يابانيين، كل منا يجيد أربعة لغات مختلفة، ونحن نتعرف على أهم الكتب والأفكار الموجودة فى المعرض ونعود إلى اليابان ونقدمها للنشء والشباب.

ومن هنا يمكن أن ندرك أن الفرد اليابانى أو المؤسسة اليابانية تعمل على تجميع وتخزين المعلومات سواء كانت هذه المعلومات عامة عن

الموضوع أو معلومات متخصصة عن جانب محدد، والمعلومات تجمع سواء من متخصصين أو من العامة ومن مختلف المصادر مثل الأبحاث الميدانية، المراجع، الكتب ، التليفزيون، الإنترنت، ...المهم أن تجمع المعلومات، والأهم من ذلك أن تكون المعلومات دقيقة وذات طبيعة شمولية، تنظر إلى الموضوع من زوايا متعددة حتى تكون متاحة عند إتخاذ القرار، ونظرا لأن المعلومات والبيانات هى المواد الخام التى تشكل المعرفة فيما بعد، فالمجتمع اليابانى يهتم إهتماما بالغا بالبيانات فى إدارته للمشاريع الكبيرة أو الصغيرة، لأن البيانات والمعلومات تمثل حقائق غير منظمة وغير مرتبة وهى منفصلة عن الهدف العام لسكونها وعدم قدرتها على معالجة الأمور، ولكن عندما ترتب وتنظم وتشكل تلك المعلومات فى إطار معين ووفق منهج منظم تجاه هدف ما، من خلال ذلك يصبح لهذه المعلومات معنى وقيمة، وتصبح معرفة مكونه لمجموعة من الحقائق، ومن هنا " إن عملية صنع القرار فى اليابان عملية ديمقراطية تعاونية تقوم على اساس الاتفاق الجماعى فى الراى، وتستند إلى وجود شبكة معلومات جيدة وعلاقة انسانية متينة " [1] لكى تصل إلى الهدف المنشود.

ومن الصفات الجميلة في اليابانى أنه مهما أوتى من معرفة فى مجال تخصصه فهو يستشعر أنه مازال يتعلم، وأنه ينقصه الكثير لكى يجود ما يقوم به، وكأنه يعمل بالحكمة التى تقول " عش طوال حياتك تلميذا " إنها فلسفة حياة، وعلى الإنسان أن يتعلم بشكل مستمر، ولا يكف عن التعلم مهما طال به العمر ومهما عايش من خبرات، إن اليابانى يعمل منذ فترة طويلة تحت الشعار المعاصر الذى ترفعة كثير من المؤسسات والمنظمات

[1] د. محمد عبد القادر حاتم: الإدارة فى اليابان كيف نستفيد منها.! !، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 29.

الدولية وهو " التربية المستدامة "، لكى تصنع نموا وتفوقا وإبتكارا للناس وللمجتمع، كما أن نشر المعرفة يعتبر واجبا وطنيا نبيلا يجب القيام به.
إن المعرفة فى اليابان تستخدم فى إنتاج التكنولوجيا، وذلك بإدخال التطوير على الأجهزة والمعدات التى ترفع الكفاءة وتوفر العمالة والجهد، وأيضا تحافظ اليابان فى صناعتها على الجودة والذوق الرفيع، آمنت اليابان بإنتاج التكنولوجيا وليس إستهلاك التكنولوجيا، لأن الإنتاج أساس النجاح للحاضر والمستقبل، وأيضا أساس التواجد بقوة فى المنافسات بالسوق العالمية، فقد أدرك اليابانيون أهمية العلاقة بين الإنفتاح والتغير التكنولوجى من ناحية والنمو الإقتصادى من ناحية آخرى من حيث التدفق الحر للسلع ورأس المال والناس والمعرفة، ومن ثم كان هناك دورا رئيسا فى تخطيط نقل التكنولوجيا من الخارج، وذلك بتحديد ما هى التكنولوجيا التى يجب استيرادها، وما مدى ملاءمتها للمجتمع اليابانى، وما هى انسب الأوقات لتطبيقها، مع خلق بيئة مشجعة لهذه التكنولوجيا، ومن النقاط الذكية فى نقل التكنولوجيا هو إستخدام بناء ديناميكى لها، بمعنى أن تساعد على إيجاد تفاعلات تنتج نوعيات آخرى فى مجالات تكنولوجية مختلفة.
إن الفهم للثقافات المختلفة يجعل هناك فهم مختلفا وطرقا وأساليب متنوعة، مما يساهم فى فتح آفاقا جديدة يكون لها عظيم الأثر فى المعلومات المتاحة للمشروع، ولعل أهم ما يميز ثقافة الشرق الأقصى ذلك التقدير والتناسق والتناغم فى الهدف، إنها فلسفة العمل الجماعى التى تؤكد قيمة التعاون.

إن ثورة المعلومات أدت الى أزالة عقبات الزمان والمكان، وبالتالى الى زيادة الأتصال والمعرفة بين مختلف الأفراد فى القرية الكونية، قد تختلف

ثقافة الشعوب وتختلف أيضا التقاليد وقواعد السلوك ومنظومة القيم من بلد لبلد آخر، ولكن تبقى قيمة العمل، وقيمة النهج العلمى، وقيمة المعرفة واحدة فى قدرتها على تطوير منظومة الحياة نحو الأفضل من خلال روح التجدد المعرفي

جماليات يابانية

تقول د. أميرة حلمى مطر فى كتابها " فلسفة الجمال " " على مدى تاريخ الفلسفة كانت فلسفة الجمال تعنى بالبحث فى مبادىء النقد الفنى والإحساس بالجمال وإبداعه وهي على صلة وثيقة بمبادىء المعرفة...ولما كان لكل قيمة ...معاييرها التى تختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف حاجات الإنسان ورغباته، فقد تعددت فلسفات الجمال واختلفت مذاهبه ومن هنا كان لتاريخ الفكر الجمالى أهميته منذ اليونان حتى العصور الحديثة والمعاصرة" [1]

وعلى ما سبق يمكن أن يكون الشىء الجميل جميلا فى منظره البديع، وقد يكون جميلا فى ملمسه الناعم، وقد يكون جميلا فى تناسب وإتساق أجزائه، وقد يكون جميلا فى صوته الرخيم، جماليات سمعية وجماليات بصرية، ولكن ما أعنيه هنا ليس الجمال السمعى أو البصرى وإنما هو جمال معنوى، إنه جمال القيم الذى يشع على الأشياء فيجعلها تزداد حسنا، كما يجعلها محببة إلى النفس، والقيم الجميلة تجعل الأشياء متقنة، منظمة، ومن سلوكيات الحياة اليومية اليابانية أقتطف لك عزيزى القارىء هذه الأزهار لعلها تكون ذات نفع، ونحاول ان نتعرف عليها ونستفيد من مضمونها أو شكلها أو كليهما معا.

[1] د. أميرة حلمى مطر: فلسفة الجمال، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003، ص 271.

يؤمن اليابانى بأن الوقت قيمة كبرى يجب المحافظة عليه بكل السبل، وإستثماره أفضل إستثمار، لأن الوقت هو الحياة، وهو يؤمن ببيت الشعر العربي الذي يقول: دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني يدرك الياباني أن الوقت لا يمكن تقديره ومعادلته بشيء، لأن الوقت عنصر من العناصر الكونية – التي منحها الله سبحانه للإنسان – ومن ثم يجب أن نستثمره في كل ما هو مفيد وخير. والإنسان إذا لم يستغل وقته في كل ما يفيد وكل ما ينفع وكل ما هو جميل فمعني ذلك انه قد بعثر حياته هباء وبدون فائدة، لأن اليوم لا يمكنه أن يعود مرة أخري، وكذلك الساعة بل والثانية الواحدة لا يمكنها أن تعود مرة أخري. كما أنه لا يمكنك أن تقترض هذه الساعات أو الثواني من أخيك أو صديق لك أو حتى من أعظم البنوك العالمية، لأن كل هؤلاء لا يملكون الوقت، وأنت وحدك الذي يمكنك تنظيم أمر وقتك. يدرك الياباني أنه يملك في كل يوم شيك قيمته 24 ساعة أو 1440 دقيقة أو 86400 ثانية، ومن هنا لا بد أن يكون في يومه جديد، لابد أن يكون في يومه شيء مبتكر، لابد أن يكون فيه شيء نافع له ولأسرته ولمدرسته ولمصنعه ولشركته ولبلده ولكل من يتعامل معهم. يجب أن ينشد الأفضل والأجمل لكي يطور الحياة التي يعيشها، فها هي صناعة الساعات في اليابان تقيس الوقت بأجزاء من الثانية، ومواعيد القطارات التي تقاس أيضا بأجزاء من الثانية، ومواعيد الاجتماعات منضبطة، فمثلا إذا كانت هناك مدة محددة لمقابلة شخصية ما، وانتهي الوقت المخصص لها ـ حتى إذا لم يتم إنهاء الموضوع ـ فإن رئيس الجلسة يتجه بأدب شديد في اتجاه آخر مما يوحي للشخص أن الوقت قد انتهى. ونحن نجد الأديب الياباني شوساكو إندو (1923 –

1996) [1] صاحب روايات " الرجل الأبيض "، " الرجل الأصفر "، " المرأة التي هجرتها " ، " صمت " ، " النهر المقدس " والحاصل علي جائزة اكوتاجاوا اكبر جائزة يابانية في الأدب كان عنده وقت للنوم ووقت للقراءة ووقت لعزف الموسيقي ووقت للتنزه والتفكر ، ووقت للكتابة في كل يوم، إنه النظام واحترام الوقت الذي يجعل الحياة ثرية وغنية وقيمة. إن شابا يابانيا في سباق للدرجات إستطاع أن يفوز بالسباق لاختصاره بعض الثواني، حيث درب نفسه عل فك جزء من صامولة الإطار الكاوتشوك أثناء السباق – قبل وصوله إلى مكان الصيانة للدراجات – والذي يتم أثناء السباق – وبالتالي استفاد من اختصار الزمن، ومن ثم كان الأول، إنه السعي نحو المعرفة.

إن الوقت قيمة كبيرة، فعقارب الساعة لن تعود إلى الوراء، إنها دائما إلى الأمام، لذا كانت الضرورة لوجود الجدول اليومى والأسبوعى والسنوي لما سوف تصنعه. إن الإنسان فى المجتمع اليابانى يفصل بين ذاته الشخصية، وبين آرائه التى يطرحها فى النقاش حول الموضوع الذى يناقشة مع مجموعة العمل، فالإتفاق أو الإختلاف حول الموضوع المطروح لا شأن له بوجهات النظر الشخصية ,إنما التناول يخضع للرؤية الموضوعية والمصلحة العامة، لأن هناك نوع من الناس يعكف على ذاته ويتقوقع داخلها ولا يرى شيئا سواها، ويربط كل الأشياء من خلال ذاته، فالإتفاق فى الآراء مع وجهة نظره هى إتفاق معه، والإختلاف مع رأيه هو إختلاف ضده، دون تبصر لكل أبعاد الموضوع المطروح للمناقشة، وأمام هذه الفئة من البشر الأحاديين تتعذر أمامهم تنوع الرؤى الإنسانية،

[1] شوساكواندو: الصمت، ترجمة، كامل يوسف حسين، روايات الهلال، أبريل 1997.

ويفقدوا الثراء المعرفى لأنهم أحادي النظرة، إن الشخصية اليابانية تجتذب كل الآراء، وتفتح كل النوافذ حول الموضوع المثار لكي تتعرف على التصورات والسيناريوهات المختلفة ثم بعد ذلك تبللور تصورا ورؤية جديدة للموضوع، إنه التنافس نحو الأفضل والأصلح، إنه الإحترام للآخر، ـ وتظل الشخصية على الشاطىء الآخر بعيدة عن أى صراعات حول تحقيق الأفكار ـ إنها ثقافة شعب، إنها ثقافة مجتمع، إنها الموضوعية البعيدة عن العواطف والعصبية والطائفية، إنها الحرية التى تتحرر من النظرة الضيقة، إلى رحابة التعددية المعرفية، بتعدد الآراء والرؤى. إن الشخصية اليابانية تجمع كل وجهات النظر وتدرسها وتستوعبها لكي تخرج برأى جديد مبتكر مغاير لكل الآراء، ولكنه فى نفس الوقت متسق ومنسجم مع القضية المطروحة والمصلحة العامة.

إنها فلسفة النظرية الجشتالتية ـ الشمولية ـ حيث ضرورة الرؤية الكلية واجبه، وأنه لا يمكن رؤية الجزء إلا فى ضوء المجموع، ومن ثم كل ما هو محدود فهو ناقص، وبالتالى لا يمكن تفسير الجزء إلا من خلال الكل. إنها عقلانية تدين الفردية والأنانية، وتحث على الروح الجماعية.

الخوف على الآخر عنصر هام فى سلوك اليابانى، فعندما يستشعر أنه مصاب بنزلة برد، أو حتى على وشك أن يصاب بها، فإنه على الفور يضع على أنفه كمامه بيضاء تباع فى الصيدليات وفى المحلات العامة، وذلك لشعوره بالواجب نحو عدم نقل العدوى للآخرين، لأنه يعلم أن الآخر هو ثروة قومية يجب المحافظة عليها من أجل مزيد من العمل والإنتاج لإنتصار قيمتى الإتقان والجودة.

زهور فى كل مكان أينما ذهبت تجد الأزهار والورود بألوانها الجميلة ورائحتها الأخاذة فى مواجهتك، تحييك وتبتسم لك، إن الإيكيبانا أو فن تنسيق الزهور له دور كبير فى الحياة اليابانية، بل له مدارس كثيرة تقوم بتدريسه بفلسفات مختلفة وطرق ومناهج متعددة، حيث يوجد طريقة كلاسيكية قديمة فى التنسيق، بينما يوجد مدرسة حديثة تعتمد على التلقائية والحرية فى تنسيق الزهور لأنه يجب على كل فرد أن يتذوق ويستشعر الجمال فى كل زهرة ويحاول أن يبتكر تكوينات وعلاقات جديدة بين الزهور فى أشكال غير تقليدية.

فى إيجاز يمكن القول إن التجربة اليابانية في فلسفتها للعمل الجماعى، وتقديرها لقيمة الوقت، وجودة التعليم، وسعيها فى إبتكار وتطبيق التكنولوجيا، وإحترامها لفكر الآخر، وتذوقها للعنصر الجمالى، هى تجربة قابلة للتطبيق من خلال نهج عملى منظم، يتوجه نحو قيم التحديث لمنظومة المجتمع فى الألفية الثالثة.

الفصل الخامس
التنمية المستدامة ضرورة

التنمية المستدامة والألفية الثالثة

عالم الأمس غير عالم الغد، لكل منهما فلسفته وأفكاره التى تنطلق من مخيلات رجاله، لقد تعهدت قيادات العالم بتحقيق أهداف الألفية الثالثة للتنمية متضمنة تحقيق الهدف الرئيسى وهو تخفيض الفقر للنصف بحلول 2015، ولهذا تقوم شبكة برنامج الأمم المتحدة الإنمائى بربط وتنسيق المجهودات العالمية والقومية لتحقيق هذه الأهداف حيث التركيز على مساعدة الدول لبناء ومشاركة حلول تحديات الحكم الديموقراطى، تخفيض الفقر، منع الكوارث والحفاظ على الطاقة والبيئة، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والقضاء على بعض الأمراض مثل نقص المناعة المُكتسب (AIDS)، وكلها أهداف تتجه نحو التنمية المستدامة.

التنمية المستدامة مصطلح ظهر على الساحة الدولية والمحلية لكي يجد طريقه وسط عديد من المصطلحات المعاصرة مثل العولمة، صراع الحضارات، الحداثة، ما بعد الحداثة، التنمية البشرية، البنيوية، الجينوم، المعلوماتية، وغيرها من التعبيرات التى يجب علينا فهمها لكي نجد لغة خطاب مع العالم، وأيضا لكي يكون لدينا الوعي بفهوم هذه المصطلحات ولا يكون عندنا لبس أو خلط للأمور. إن التعريفات للمصطلحات تأخذ منحنيات وتفسيرات وتأويلات مختلفة طبقا لطبيعة البلد وثقافته، ولوجهة نظر واضع المصطلح، وأيضا لوجهة نظر المفسر للمصطلح، إن ذلك يخلق قدرا من الغموض والإلتباس فى معنى المصطلح ليس فقط لدى العامة ولكن لدى المتخصصين أنفسهم، وكثيرا ما كنت أجد صعوبة فى

تعريف المصطلحات الفنية لدى دراستى للدكتوراه، فالباحث يجد نفسه أمام كم هائل من التعريفات والتفسيرات وعليه أن يختار منها المناسب وما يلائم وجهة نظر البحث، أو عليه أن يبتكر وينحت مصطلحا جديدا لكى يبرهن على وجهة نظره ويصنع إضافة فى تخصصه، وهذا وأحد من إيجابيات البحث العلمى.

وقبل محاولة إستجلاء مفهوم التنمية المستدامة أحب أن أشير إلى خطأ شائع يصنع ترادفا ومزجا بين التنمية المستدامة وبين التنمية البيئية حيث يظن الكثير أن التنمية المستدامة هى المحافظة على البيئة بكل مفرداتها سلامة الهواء والماء، والمحافظة على المحميات الطبيعية وزراعة الغابات، والتشجير، ومشكلات التصحر إلى آخره من القضايا المتعلقة بالبيئة، وإذا كانت الجوانب البيئية ركن أصيل من التنمية المستدامة إلا أنها ليست كل الأركان، فالتنمية المستدامة هى رؤية أكثر شمولية للمجتمع على نحو يفوق البعد البيئى.

وهنا محاولة للتعرف على فهم مصطلح " التنمية المستدامة Sustainable Development " إن تقرير برونتلاند الذي أصدرته اللجنة الدولية للبيئة والتنمية فى عام 1987 بعنوان " مستقبلنا المشترك " عرف التنمية المستدامة بأنها " التنمية التى تلبى إحتياجات الحاضر دون أن يعرض للخطر قدرة الأجيال التالية على إشباع إحتياجاتها "[1] ويمكن أن نلحظ أن التقرير يتنبأ بإمكانية دخول البشرية عصرا جديدا من النمو الإقتصادى يعتمد فى ذلك على عناصر وسياسات من شأنها دعم وتنمية

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 492.

الموارد البيئية الطبيعية. إن دول العالم اليوم تعمل بكل الطرق على تحقيق النمو الإقتصادى والتحديث ليس كوسيلة لإشباع الإحتياجات المادية الأساسية وإنما لتوفير الموارد اللازمة لتحسين نوعية الحياة بصفة عامة، إن تنشيط حركة التصنيع والإنتاج والتشغيل والبيع والشراء والتبادل التجارى، وكذلك الإرتقاء بالرعاية الصحية للأطفال والمرأة والشيوخ ـ لأن الصحة هى الطاقة الحيوية لتفعيل ديناميكية جسد المجتمع ودفعة إلى الأمام ـ وتطوير التعليم الذى يعتبر بعدا جوهريا فى النظر للمستقبل ولا ننسى هنا التقرير الشهير " أمة فى خطر " الذى تأمل مضمون التعليم ورسالته ومن ضرورة أن يعتمد التعليم على المشاركة والحوار، وتنمية التعليم الذاتى، والحلول الإبتكارية، موسوعية المعارف والمهارات ، إستخدام التقنيات الحديثة، ، وكذلك أبعادا آخرى مثل إيجاد فرص عمل من خلال مشروعات إستثمارية، تمكين المرأة، مشاركة المجتمع المدنى وغيرها من عوامل التنمية، كل ذلك لتنمية القدرات المجتمعية لمواجهة التحديات المستقبلية والتى تدخل ضمن منظومة التنمية المستدامة.

ولكن نظرا لأن البعد الإقتصادى بعدا أصيلا فى التنمية المستدامة فإن مشروعاته الكثيرة والمتنوعة تجهد البيئة سواء من خلال إستخدام الموارد الطبيعية والتى هى قابلة للنضوب أو لما تحدثه من هدر أو تلويث مما يعرض البيئة للتدهور وأيضا الأجيال القادمة للخطر، وعلى ذلك تحاول فلسفة التنمية المستدامة أن تحل هذه الإشكالية بأن تتخذ القرارات على شتى المستويات فى المجتمع لسلامة أفراده، وتأخذ فى إعتبارها سلامة البيئة التى يمكن أن تنجم عن تلك القرارات، وهذا يقود إلى الإهتمام

بالبيئة وسلامتها فى كل جوانبها، لذلك تتطلب التنمية المستدامة نمط من النمو تكون فيه الظروف الاقتصادية والاجتماعية مع الظروف البيئية لها اعتبارات متساوية ومتوازنة بعناية، وفى هذا الشأن فإن حماية البيئة والاستخدام المتوازن للموارد الطبيعية يجب أن يكونا جزءا متكاملا من عملية التنمية، لهذا فالإهتمام بمجالات تركز على نوعية وإدارة المياه ، نوعية الهواء ، إدارة الموارد الأرضية ، التصحر ، حماية البيئة البحرية ، إدارة المخلفات الصلبة، كل هذه قضايا مشتركة ذات أبعاد إقتصادية وعلاقة وثيقة بالبيئة، فعلى سبيل المثال نجد الطاقة والبيئة أساسيتان للتنمية المستدامة فنجد كثير من الناس يتأثرون بشكل متفاوت بتدهور البيئة، وافتقار الوصول إلى خدمات طاقة نظيفة ممكنة. وهذه القضايا لا يمكن تناولها من خلال عمل الدول بمفردها، لهذا يساعد برنامج الأمم المتحدة للبيئة الدول لتقوية قدراتها لتناول هذه التحديات على المستويات العالمية والقومية والمجتمعية بحثا عن المشاركة للوصول إلى أحسن الممارسات ، وتوفير النصائح للناس لتدعوهم إلى بناء حياة أفضل، بالإضافة إلى أن الإدارة السليمة للمشروعات والموارد سوف يساعد على التحسين المستمر لحماية البيئة وهى تعتبر من الأمور الضرورية، وعلى ذلك يكون تشجيع استخدام التكنولوجيات والممارسات الصالحة بيئيا مع التركيز على تنمية المناطق الفقيرة يعنبر بعدا هاما فى التنمية المستدامة.

لقد أقرت مصر مفهوم التنمية المستدامة كإطار لعملها الأساسى نحو النمو الاقتصادى وتنمية المجتمع بمفهوم التنمية المستدامة، كنموذج جديد، يحكم جميع الخطط الاستراتيجية التى صاغتها وجارى تنفيذها سواء على المستوى القومى أو العربى أو الأفريقى أو العالمى بحيث تترجم هذه

الخطة اهتمامات مصر فى تحقيق الأهداف المنصوص عليها للتنمية المستدامة. إن المنهج التشاركى التشاورى الذى استخدم فى صياغة الخطة والموافقة الجماعية قد أظهر التزام الحكومة المصرية تجاه تبنى نماذج لعمليات ديمقراطية فى اتخاذ القرار وتأسيس الشراكة بين القطاعات العامة والخاصة والتى فى النهاية تستخدم كوسائل لتحقيق التنمية المستدامة، وفى ضوء رؤية مصر 2017 حيث تم إضافة بعد جديد لتعريف مفهوم التنمية ففى عام 1997 أسس الصندوق الاجتماعى للتنمية، ويتمثل دوره فى تمويل المشروعات الإجتماعية والبيئية بقروض ميسرة أو منح أو الإثنين معا، وبهدف مواجهة البطالة يسعى الصندوق الى خلق فرص العمل من خلال تمويل المشروعات الصغيرة وتزويدها بالتكنولوجيا والخبرة الفنية اللازمة. وتتعدد أنواع هذه المشروعات، إذ قد تتخذ شكل تقديم خدمات بيئية أو تصنيع معدات... الخ. كما تتعاون مصر مع وحدة القدرة 21 – ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائى لدعم المشروعات للتنمية على المستوى الدولي. تواجه التنمية المستدامة صعوبات كثيرة منها عدم الوعى المؤسسى وأيضا الفردى بأهمية التنمية المستدامة نتيجة التصرفات الخاطئة فى تطبيق البرامج والمشروعات القومية وأيضا نتيجة عدم وعى الأفراد بالسلوكيات الجيدة، بالإضافة أن هناك رسوم يجب دفعها كضرائب وغرامات على المخالفات يتجاهل الكثير عن آدائها ـ إنهم المنتفعون دون مساهمة أو مساعدة ـ والتى سيكون توظيفها لخدمة المجتمع، إن التنمية المستدامة عملا جماعيا إنه يتطلب دور الدولة ودور المؤسسات فى المجتمع المدنى وأيضا دور الأفراد لتكون نظاما تعاونيا يعتمد على التبادل الرشيد للرقى بالمجتمع.

الحرية وحب الوطن

الحكايات والقصص عبر التاريخ تعلمنا الحكمة، وأقصوصة اليوم تحكى " فى إحدى الحدائق الغناء بأشجارها المورقة وطيورها المغردة، كان رجلان يجلسان إلى جوار بعضهما البعض على أريكة جميلة مريحة، فتثاءب أحدهما وفتح ذراعيه جانبا فضرب بيده اليسرى أنف الرجل الآخر الذي يجلس إلى جواره، فغضب الرجل وقال: من فضلك انتبه، لقد ضربت أنفى بيدك. فرد الرجل متعجرفا بصوت صاخب أزعج الطيور وبعثرها بعيدا، وجعل أوراق الشجر تتساقط ذابلة: وماذا في الأمر؟ أنا حر. فرد عليه الرجل المضروب مغتاظا: نعم، أنت حر، ولكن "حرية يدك تنتهي حيث تبدأ حرية أنفى" إننا أمام نموذجين للسلوك الإنسانى، نموذج غير متحضر، نموذج له سلوك همجى تسيطر عليه القوة البدنية دون وعى، ودون تركيز ودون التفات أو اكتراث بالآخر.. إنه سلوك بدائى، أنانى، إنه سلوك الغابة تتحول الشخصيات الفوضوية إلى بدائيتها وروحها الانفعالية وتتمركز حول ذاتها فقط دون القدرة على الخروج من هذه الشرنقة، أما النموذج الثانى فهو نموذج عقلانى يحاول ان يدفع عن نفسه الظلم بأسلوب حضارى يعمل على توضيح مشكلاته مع الآخر لكي يفهم. هذه الأقصوصة تحمل فى طياتها مضمونا فلسفيا حضاريا، أن نحترم الآخر، نحترم الطيور، الطبيعة، تعلمنا هذه الأقصوصة كيف ننظر إلى رفاقنا فى الإنسانية، لأن الحرية حق لكل إنسان، وهي في نفس الوقت احترام للذات والآخر. الحرية ليست فعلا فوضويا، ولكنها مواجهة للفوضى. الحرية تتحول إلى فوضوية عندما لا نحترم الآخر، إنها تبعثر

الأشياء دون منطق أو تقدير للأمور. الحرية دفاع عن مبدأ، عن قيمة. الحرية ليست تحطيم القوانين والشرعية. الحرية ليست التمرد على الواقع، حتى يفقد الواقع ما لديه من إنجازات، بل هى المحافظة على ما لدينا لتطويره ونمائه. أن تكون حراً هو أن يكون لديك القدرة على الاختيار، القدرة على الابتكار والاكتشاف، وأن تكون حراً معناه أن يكون لديك حقوق وعليك واجبات، لذلك لابد من حالة وعي، حالة إدراك، حالة فهم لمعنى الحرية. الحرية هي إثارة الناس لكي تتخذ موقفا واعيا لبناء المجتمع، وليس موقفا هداما ضد المجتمع. الحرية هي القدرة على المشاركة من أجل حياة أفضل للناس. علينا أن نكون منتبهين بشدة ولا نسمح لأحد بخلق حالة تشويش داخل جدران الوطن. الحرية حقيقة، الحرية تحرك ناس وتدفعهم إلى تمزيق مساحات الخوف، ودفعهم إلي روح تنويرية، إن القيد الوحيد الذي يجب أن يوضع أمام حريتنا هو وازع من ضمير وإحساس داخلي بالعدالة، فبدونهما نصبح أسرى لأنانيتنا التي تدفعنا إلى التعدي على حرية الآخرين. الحرية حق لكل الناس وليست امتيازاً تمنحه جهة معينة. الحرية هدية الله لمخلوقاته. الحرية أن ننسى الكائن البيولوجي بداخلنا هذا الكائن الذي يجنح نحو الحرب والتوسع الجبري. الحرية هي كائن عقلي له قوة الفكر والإدراك والتنوير نحو التحضر واحترام الآخر والتسامح والسلام، إنها قوة الدفع للأمام.

لا يمكن فرض الحرية بالتجاوز لا بد من مساحة للرأي الآخر، لأن التجاوز يصنع الفوضى، والفوضى تدمر القدرة على أعمال العقل، ومن ثم تخلق جموع لا يمكن تمييزها للأشياء، وتصبح الصورة غير واضحة، ويفقد الفرد وتفقد الجماعة السيطرة على الفعل الصحيح. الحرية هي

التواصل مع الجمهور من أجل الشجاعة والقوة، والبناء نحو الأفضل، نحو أسلوب جديد ومختلف ينعش روح الفكر وروح التعاون وروح الخيال الخلاق المبدع. علينا ألا نسيء فهم الحرية، حتى لا يكون هناك تشتيت للقوة والأحلام، ونحن في هذه اللحظة يجب أن تتوحد القوى، والأحلام لرؤية مستقبلية مشرقة لهذا الوطن العزيز.

لقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من ديسمبر 1948 "الإعلان العالمى لحقوق الإنسان" الذى يضمن الحياه والحرية والأمن، وأن ينظر إليه فى أى مكان بإعتباره إنسانا أمام القانون، وحرية الحركة والتنقل، والحق فى أن تكون له جنسية، وحرية الفكر والضمير والإعتقاد، وحرية الإرتباطات والتجمعات السلمية، وحرية المشاركة فى إدارة مجتمعه"[1] وعلى هذا يصبح الحق فى حرية التعبير بعداً هاماً فى النهوض بإبداعات المجتمع نحو فهم الحقوق وأيضاً فهم الواجبات، إن حرية التعبير حق لأفراد المجتمع وفى الوجه الاخر يتم الإحتكام للحقوق إلى القانون حيث يوجد حدود واضحة تتحدد فى ضوء علاقات الاخرين مع بعضهم البعض وأيضاً بالصالح العام.

إن قضية التنمية من أهم العلاقات المترتبة على الشعور بالحرية فى المجتمع لذلك فإن المجتمع الحر هو الذي يستطيع أن يساهم ويشارك فى سباقه الحضارى، لهذا السبب فإن التنمية والتطور والرقى لا تحدث إلا إذا كانت تحت مظلة الحرية. إن الحرية لا تعنى الرؤية الشخصية التى تنطلق من نظرة ضيقة، متشبعة بالأهواء والأغراض الذاتية التى لا تحمل

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثانى، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 654.

بعداً موضوعياً للقضية المطروحة، علينا أن نتخلص من التراث الأحادى النظرة إلى قضايانا فهناك وجهات نظر مختلفة ومغايرة لطريقة رؤيتنا، ومن هنا علينا أن نتفهم وندرك وجهات النظر الأخرى كى نتعلم أن نلقى مزيدا من الظلال والضوء على ما نناقشه حتى تشع حقائق جديدة، وافتراضات متنوعة تكون قادرة على صياغة مفاهيم جديدة للموضوع.

فى ظل الثورة المعلوماتية، وعصر التعددية الثقافية لابد من فهم المعلومة، ومن التأكد من دقتها لأن عدم صحة المعلومة يعتبر خرقاً للقانون الأخلاقى وأيضاً للقانون العام وفى ذلك مساس بمصالح المجتمع. إن معنى الحرية يحمل فى جوهره مشروعاً أخلاقياً نحو صحوة الضمير الإنسانى، نحو إحترام الاخر، نحو قيم التقدم، ليس من جانب الإلزام القانونى وإنما من منظور الإلتزام الإجتماعى لدفع المجتمع للأمام بقوة الضمير الأخلاقي والذي يمثل الميزان الذهبي للكلمة والصورة والنغمة واللون والخط والضوء فى حياتنا الثقافية والفنية والسياسية، إنه الضمير المهنى للفرد والجماعة. إن معنى الحرية هو نزاهة الفكر والخلق وثقة النفس وراحة الضمير رغم كل التعقيدات والمتغيرات على عالمنا المعاصر، إن الحرية هى المناخ الصحى للنموذج التنموى نحو المستقبل. إن مصر تؤمن بأن مناخ الحرية طريق الإستقرار السياسى، وإحتضان كل التفاعلات الكثيرة والمتنافرة التى تتم داخل المجتمع فى نهر ينساب ويتدفق فى سهولة ويسر حاملا فيضان الخير للوطن.

والمشهد الوطنى اليوم نرى من خلاله صراعاً وجدلاً حول حرية التعبير وقانون العقوبات المتعلقة بالنشر والصحافة وإذا كان الرئيس مبارك

ينتصر دائماً لحرية التعبير فيشهد التاريخ أنه ألغى القانون رقم 93 لسنة 1995 وهو الذى أطلق حرية إصدار الصحف بمختلف توجهاتها إلى جوار الصحف القومية وهو الآن يلغى الحبس فى مادة الذمة المالية ومن هنا تأخذ الصحافة دوراً كبيراً فى حرية التعبير ليس للتجريح أو التشويه أو الرؤية الأحادية، ولكن على الشاطىء الآخر من الضرورى إستخدام هذه المساحة الكبيرة من الثقة والحرية لتكون دافعاً قوياً فى مسيرة الإصلاح وإعادة البناء والإرتقاء بهذا الوطن العزيز مصر.

أزمة... والنغمة الهادئة

أزمة موقف لا تعنى أزمة مجتمع، وأزمة مجتمع لا تعنى أزمة أمة، وأزمة أمة لا تعنى أزمة حضارة، نعم طريق الحياة ممتد، نواجه فيه كثيرا من الصعاب، ولكن علينا آلا نتوقف عن السير فى ركب التطور والتحديث، يقول المفكر د. زكى نجيب محمود فى كتابه "هذا العصر وثقافته" متأملا ومحللا طبيعة الشعب المصرى عبر الأزمان المختلفة " النغمة الهادئة هى نغمة المصرى فى حياته، إذا ما أطلقت له تلك الحياة على سجيتها، لم تعترض سبيلها حوائل وموانع، المصرى فى حياته العملية مطرد منتظم مهذب، ينساب إنسياب النيل فى مجراه...المصرى بان للحضارات صانع للثقافات، ولولا نغمة حياته المطمئنة الهادئة ما صنع ولا بنى، ولكنه إذا فاجأته فاجئة استدار لها وأزالها لكى يعود إلى هدوئه فيبنى ويصنع...وبقى المصريون كما كانوا من أول الدهر مصريين، يربطون الرباط الوثيق بين الأرض والسماء، بين الحياة وما بعد الحياة، ورفعوا لذلك رمزا ناطقا فى مسلاتهم وأبراجهم ومآذنهم، مسلات الهياكل وأبراج الكنائس ومآذن المساجد ارتفعت كلها لتشير إلى السماء وكأنها أصابع السبابة من الأيدى، انبسطت لتشهد أن لا إله إلا رب العالمين،" [1] إنها مصر، بلد الحضارة والعقيدة السمحة التى تنبع من جوهرها الحضارى.

[1] د. زكى نجيب محمود: هذا العصر وثقافته، دار الشروق، 1980، ص 145.

مصر أرض الكنانة، مصر السماحة، أزمة تحاول أن تنال منها بفعلها الفوضوي المخرب البعيد كل البعد عن العقل والخلق والدين، هذا الفعل يحاول أن يهز منارة السلام التى تسود على أرضها ـ أحداث منتجع دهب بسيناء ـ هذا الفعل الذي لا يحمل قيماً لتطور الحياة سواء للوطن أوالإنسانية، وإنما يحمل فيروسات الدمار، التي تحاول أن تؤجل الأحلام، وتشوه رؤى المستقبل، ولكن هل تتبعثر الأحلام ورؤى المستقبل؟ الإجابة: لا. هيهات، الأحلام ورؤى المستقبل تتوهج دائما لأننا نعيش في مصر الحياة، مصر النغمة الهادئه، ورؤى المستقبل تسير للأمام دوما لأننا نملك الإرادة.

إن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية، ومن منظور آخر يجب علينا في هذا الوطن العزيز أن نتيقظ لما يدور حولنا، حيث تحاك الأزمات حتى تنال من مصر، لأنها قلب الوطن العربي، ولأنها صاحبة تيارات إصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي في المنطقة، قد تكون هناك وجهات نظر مغايرة، إلا أنه لا يمكن تجاهل أو إغفال الروح الوثابة للإصلاح التى تدفع إلى التعمير والتحديث، بالإضافة إلى الدور الإقليمى الذى تلعبه مصر، إن هذه الأفعال تحاول أن تقلل من أهمية الدور المصرى، وبأنه غير قادر على القيام بواجبه على أكمل وجه نتيجة عدم الإستقرار، ولقد كانت وما زالت دعوة مصر لعقد مؤتمر دولى للإرهاب دعوة حقيقية لمواجهة هذا الشبح، بتكثيف التعاون بين الدول على المستوى العالمى، وبالتنظيم بين أبناء الشعب على المستوى القومى، ومن ثم علينا في هذه المرحلة، وأن يؤدي كل منا دوره بصدق العمل وأداء الواجبات كمواطنين مصريين كل في موقعة المدرسة، الشارع، مركز الشباب، الكنيسه،

الجامع، المؤسسات الحكومية، الجمعيات الأهلية، الجامعة من أجل تفاعل حقيقي لبناء وتحديث مصر الوطن الغالي لكل المصريين.

وإذا كان هناك موقفا عابرا يمثل صراعا طائفيا إلا أن الفطرة المصرية تلقائية، وبسيطة وسمحة فى تعاملاتها منذ الصغر وأتذكر على ذلك حينما عاد عمر ـ وهو فى ربيعه الخامس ـ من دار الحضانه، وهو فرح سعيد لأنه كون صداقة جديدة مع زميله لويس، حيث كان يجلس كل منهما إلى جوار الآخر فى الفصل، يصنعان ويبتكران أشكالا جميلة من المكعبات، وأيضا يلعبان سويا الكره، ويتبادلا قطع الحلوى، وأخذ كل منهما تليفون الآخر، وكل حكايات عمر عن لويس وقدرته المميزة فى العمليات الحسابية، بينما كان عمر يفتخر بقدرته وسرعته فى ألعاب الكومبيوتر، وحينما كان لويس مريضا، وتغيب عن دار الحضانه، حزن عمر لذلك ولم يكف عمر عن الحديث إلى لويس عما دار فى الحضانه تفصيلا، وتمتد العلاقة فى المرحلة الإبتدائية، والإعدادية والتعاون والأخوه، والحب يجمع بين عمر ولويس، حتى عندما فرقت المرحلة الثانوية بين عمر ولويس حيث كل منهما فى مدرسة، لم ينقطع رنين التليفون بينهما والأحاديث التى تكن كل الإحترام والحب والنصح الطيب لتساؤلات كل منهما، وفى إحدى المرات وأنا أرد على التليفون وأقول : مين حضرتك؟ وإذا بالرد يقول بشكل عفوى: لويس. أقول فى نفسى لويس، نعم هذا صديق عمر، نعم، ولكن هذه الكلمة كان لها وقع آخر، لقد حركت ذكريات عطرة لدى، إنه موقف الأستاذ والصحفى الكبير لويس جريس ـ صاحب الخلق الرفيع والعقل المتفتح للجديد ـ نشر لى أول مقال ـ وأنا لا أعرفه ـ حينما كان رئيسا لتحرير مجلة " صباح الخير " منذ عشرين

عاما ـ عندما كنت معيدا بأكاديمية الفنون ـ تحت عنوان " العقل المستنير يا خالد " [1] حيث كانت رؤية الطبيب الشاب خالد منتصر رؤية قاتمة فالشباب على المعاش وكل أحلامهم مؤجله، ولا أمل، وكان الرد الذى تحمس له الأستاذ لويس جريس " ما هذه الرؤية القاتمة وأنت فى فجر الحياة، وما هذا التعميم والتسطيح الذى أطلقته على كل جيلك بأن أحلامه مؤجلة.. وبأن عالمه لن يحقق إليه شيئا... وأن غده سراب.. وقلق وضياع.. وما هذه السلبية التى تتكاثر من كل ثنايا كلامك.. وكأن القاعدة أن يجلس الشباب على قارعة الطريق ينتظر آماله وأحلامه. أيها الطبيب أختلف معك، لقد صادرت عقل وإرادة هذا الجيل. إن كل ما ذكرته إنما هو نتاج حملات إعلامية جوفاء، حول الشباب، ولكن هيهات.. فإذا كان هناك فئة من الشباب المنحرف ظاهرة على السطح، إلا أن هناك شبابا كثيرا جديرا بالإحترام والتقدير فى جميع المجالات، ولكنه لم ينل هذه الضجة التى تصنع لتلك الفئة، لذلك يجب على الإعلام أن يخصص مساحة بارزة لشبابنا الناجح حتى يكون قدوة حقيقية فعالة في واقعنا، وهذا الواقع، لن يأتي إلا:

* بعقل مستنير، عقل يستوعب أولا معطيات واقعه.. ويدرك حدود امكانياته، ثم يحدد أهدافه، ويسير فى تحقيقها مؤمنا بها أشد الإيمان، وقادر على اقناع الآخرين بما لديه، فنحن نرى ما نملك القوة لرؤياه وأننا كبار بقدر عقولنا.

* وارادة فولاذية تستطيع أن تجعل هذه الاحلام واقعا معاشا، إن الإرادة هى التى سوف تحرك الأفكار الساكنه إلى قوة متحركة.. قوة إيجابية منتجة، إن هذه الإرادة كامنة فى داخلنا وليست خارجنا."

[1] محمد أبو الخير، مقال " العقل المستنير يا خالد"، مجلة صباح الخير، العدد 1566، الخميس 9 يناير 1986.

نعم بعقل مستنير علينا أن نواجه الأزمة التى نمر بها، من تحليل لتلك الظاهرة، ورصد ونهج علمى فى خطوات الحل على المدى القريب وعلى المدى البعيد، وفى تطوير آليات العمل بروح عصرية غير تقليدية، حتى لا تتكرر هذه الأزمات.

وبإرادة فولاذية سيكون عمر ولويس الصغير، ولويس الكبير، وخالد ومحمد رغم اختلافهم فى الآراء والمواهب، وحبهم بعضهم البعض، يعملون تحت علم واحد، ومن أجل وطن واحد، بروح المواطنة المخلصة التي تريد لوطننا الغالي الخير والتقدم والتطور لكي يصبح الأفضل بين الأمم، لأن الإزدهار هو الجدير بمصر. إننا جميعا يدا واحده فى مسيرة العمل الوطنى من أجل تحقيق حلم المصريين فى التنمية ورخاء المجتمع، يجب أن نحافظ على استقرار هذا البلد الذي نحيا على أرضه، يجب أن نحافظ على النسيج الوطنى لهذا الشعب مهما كانت الشدائد والأزمات، يجب أن نقف صفا واحدا لأي محاولة للنيل من إستقرار هذا البلد العزيز، يجب أن نقف بقوة ضد الأفعال التى تشوه الواقع وتفسده وتخربه، وضد الأفكار الهدامة التى تقف حجر عثرة للمستقبل، كل ذلك بنغمة هادئه، نغمة مصر الحكيمة والسمحة والمنيرة.

التنمية والمتميزون

إن التنمية االبشرية والمادية والإدارية من العوامل المهمة فى طريق تغيير المجتمع، من مجتمع تقليدى إلى مجتمع مبتكر، ومن ثم يرتقي بالمجتمع إلى مرحلة التحسين الشامل لكل الأوضاع على نطاق واسع، لأن ذلك سوف يحرك الكثير من الناس سواء كانوا من العاملين بالجهاز الإدارى أو من الجمهور العام للتخلص من جمود الروتين إلى رحابة التفكير المبدع، وهذا سوف يزيد الوعى بالدور المجتمعى، وكذلك الدفع للقيام بأنشطة ومشروعات تنموية تساهم في الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصادية والبشرية.

ومن هنا تدرك مصر أهمية التنمية كعنصر جوهرى فى تطوير وتحديث المجتمع، لذلك كان هناك إحتفالا بدار الأوبرا فى 25 يونيو 2006 بتكريم 51 قياديا من المتميزين بالجهاز الإداري للدولة بحضور وزير الدولة للتنمية الإدارية، إنه الإيمان بضرورة الإدارة الحديثة، وجودة الآداء وتشجيع الإبتكار والإبداع، ليس فقط من أجل مواكبة متغيرات العصر التى تدفعنا إلى السير إلى جوار الآخرين، ولكن إلى التقدم والمنافسة لكى نكون فى المقدمة من أجل المنافسة مع هذه المتغيرات المتميزة، المنافسة من أجل مزيد من التميز، إنها روح عصر المعرفة، عصر التطورات العالمية فائقة السرعة، عصر المتميزين.

ومن هنا قامت وزارة الدولة للتنمية الإدارية بعمل ثلاث مسابقات وهي: "أفضل منفذ يقدم خدمة للجمهور" ومسابقة "أفضل موقع حكومي يقدم خدمة من خلال الإنترنت" ومسابقة "المديرون المتميزون" و هدف هذه المسابقات خلق ميدان للتنافس بين الجهات الحكومية، وكذلك القائمين على آداء الأعمال من أجل تطوير منظومة العمل من خلال قوة دفع حقيقية فى بنيان المجتمع. تحية لهذه المسابقات التى خرجت من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ، من مجال الحلم إلى مجال الحقيقة، ومن الكلمة البراقة إلى واقع الفعل العملى، لقد حركت الساكن فى محيط الجهاز الإدارى من أجل صنع تنمية فاعلة، لأن التنمية الإدارية ركن هام فى تطوير الآداء والمفاهيم فى مستويات العمل المختلفة، إن تطوير المجتمع ليس أزمة مال أو أزمة عناصر بشرية أو أزمة موارد طبيعية وإنما هى أزمة إدارة، إدارة هذه المعطيات، أزمة فكر قوى واعى قادر على الإستفادة مما يملك من موارد وطاقات وإستخدامها الإستخدام العلمى المنظم فى المكان والوقت المناسب للصالح التنموى للمجتمع، إنها الإدارة المتميزة التى تسعى للوصول إلى المستوى العالمى فى المنافسة، تجارب كثيرة من حولنا تقدمت وكان أحد عناصرها التنمية الإدارية ها هى اليابان، تايوان، سنغافورة، ماليزيا، دبى وغيرها من الدول صنعت لنفسها الصدارة بفضل الإدارة، ومصر تعمل بخطوات جادة واضحة نحو الإدارة الرشيدة وهى نتاج معادلة أحد طرفيها جهاز إدارى كفء والآخر مشاركة مجتمعية واعية...لأنه من الضرورى السعى لتطوير جهاز إدارى كفء وفعال ...وفى الوقت نفسه يجب التركيز على ثروتنا البشرية من العاملين بإرساء جذور فكر جديد متطور يسعى إلى تشجيع الابداع والإبتكار، وإتقان العمل، وإظهار القدوة

الحسنة كقيمة نموذجية فى مسيرة العمل، وتقديم الخدمة وليس ممارسة السلطة...كل ذلك من أجل المواطنين.

ثلاثة أبعاد مشرقة لهذه المسابقات: البعد الأول: إن استمرار المسابقة وتطويرها ومحاولة الوصول بها إلى مستوى الجودة العالمية سوف يخلق روح المنافسة والإبتكار بين القطاعات المختلفة والعاملين فى هذه القطاعات لكي يصلوا إلى مرحلة التميز من خلال أعمال مبتكرة لها إنجازات متميزة فى تحسين الخدمة للمواطن، وعلى ذلك تكون الفائدة عامة ونافعة للجميع. البعد الثاني: بنك المشروعات، وأعنى من الضروري تسجيل المشروعات المتميزة سواء من القطاعات أو من القادة المتميزين بشرح مبسط للفكرة والأهداف وآليات التنفيذ وتسجيلها فى كتيب، وأيضا نشرها على الإنترنت لكي يتم الاستفادة منها بأكبر فائدة فى المواقع الآخرى، نعم كل موقع لها سماته وإحتياجاته ولكن قد يكون هناك نقاط تماس متشابهه يمكن الإنتفاع بها، فليست المشروعات والأفكار الجادة للمسابقة فقط، وإنما لكي تنتشر الأفكار المستنيرة وتصبح كتلة منيرة بين الناس وفى الممارسة العملية على أرض الواقع. البعد الثالث: الكشف عن المواهب المتميزة من البشر التى تعتبر رصيد يجب المحافظة عليه وإستخدامه فى تطوير مسيرة الوطن لأنهم طاقات يمكنها صنع ديناميكية فى المجتمع والتى بدورها قادرة على صنع تحويل داخل بنيان المجتمع إلى الأفضل فالإنجاز بالبشر هو الثروة الحقيقية، الإنجاز بالبشر أهم عنصر فى التنمية وبخاصة أصحاب الرؤى ـ لأن الكثير عندهم آراء قليلون أصحاب رؤى ـ والرؤية تصنع فلسفة عمل تكون قادرة على صنع إسهام حضارى، إن الإنجاز بالبشر مفتاح نجاح للمستقبل.

وتظل التنمية الإدارية فى اليابان واحدة من التجارب الرائدة فى العالم فمن الممكن أن ننظر بعمق إلى التجربة اليابانية لنتعلم ونأخذ منها ما يصلح لنا فليست كل تجربة صالحة بالضرورة بكل مفرداتها لأى بلد، إنما نأخذ من تلك التجارب ما يناسب ظروفنا ويلائم واقعنا، يمكن للنموذج اليابانى فى الإدارة ان يلقى مزيد من الضوء على مبادىء إدارية جادة مثل ترسيخ مبادىء الولاء والإنتماء، أسلوب أتخاذ القرارات، فلسفة عمل الجماعة، أهمية قاعدة البيانات، التدقيق فى أختيار نوعية العاملين، زيادة الإهتمام بأعمال البحث و التطوير، ولعل من العناصر الهامة فى الإدارة اليابانية أسلوب صنع القرار، فإن عملية صنع القرار عملية ديمقراطية تعاونية تقوم على أساس الإتفاق الجماعى فى الرأى وتستند إلى وجود شبكة معلومات جيدة وعلاقة إنسانية متينة بين العاملين وهى تتجه من القاعدة إلى القمة لكى تستشعر بمدى أهمية ومصداقية وجدوى القرار الذى يهدف إلى الصالح العام، وهذا بعيدا عن نوع ونظام التوظف المستقر طويل المدى والذى أوجد أيضاً الثقة فى الشركة أو المؤسسة والإرتباط القوى بها ونمى احساساً مشتركاً بين الجميع جعل كل فرد يشعر بأن انجازات الإدارة هى جزء من إنجازاته هو شخصياً. كما تعمل الإدارة اليابانية على تأكيد قيم الإبتكار، والمرونة، والإستخدام الأمثل للعامل اليابانى، والتحسين والتطوير المستمر للمنتج، والقدرة على الإنفتاح على البيئة المحيطة بها والتعرف مقدماً على ما يريده المجتمع البشرى الذي تعمل فيه، ومحاولة التنبؤ بمشكلات الإنتاج وإبتكار أساليب التعامل معها. إن خصائص الإدارة اليابانية هدفها البقاء والإستمرار فى السوق، كما تعمل على تطوير العمل من خلال أساليب رقابية ضمنية

وضميرية، إن الإهتمام بالبحوث وتحسين الجودة فى صنع شراكة بين الجامعات والمعاهد البحثية وبين المؤسسات عنصر أساسى فى الإرتقاء بالعمل والمنتج، هذا بالإضافة إلى الإهتمام بالتسويق وتحليل متغيرات السوق المحلية والعالمية، إن المدير كقائد لفريق العمل وما يملكه من خبرات وكفاءة فى وضع الرؤى والخطط وإدارة مجموعة العمل واحد من العناصر الهامة فى التنمية الإدارية، المشاورات قبل اتخاذ القرار، إن عنصر التدريب محورى على جميع أعمال المؤسسة بعد البدء فى العمل، إن التأكيد على الجماعة ومرونة التطبيق فى السياسات تتم من القاعدة إلى القمة بعد مشاورات ومناقشات.

إن التنمية الإدارية طريق إنطلاق نحو التطوير والتحديث لكل مقومات المجتمع سواء فى الموارد الطبيعية والمادية والبشرية نحو خلق مجتمع يتسابق نحو الجودة والتميز ولن يصنع ذلك فى عالمنا إلا المتميزين.

قرية البسايسة تجربة رائدة

إن أردت أن تطور مجتمع ما عليك أن تصل إليه، لكى تفهمه، وتشاركه أحلامه، ومن ثم يمكن تحقيقها واقعيا، معادلة رياضية إجتماعية قادرة على الإنجاز فى محيط الواقع، فليس التطوير عملا سهلا وإنما هو صراع وكفاح مع الطبيعة ومع الناس من أجل الإرتقاء بمنظومة المجتمع كله، والتجربة التى أتحدث عنها هى تجربة فريدة إستطاعت أن تمثل نموذجا للحث الوطنى والدور التنموى لما يجب أن يكون عليه صاحب المعرفة ولما يجب أن تكون عليه المؤسسة الصغيرة، إنها تجربة قرية البسايسة ـ الذي بدأ نشاطه أوائل عام 1974 ـ تلك التجربة التى خلقت ممارسات تعليمية وتدريبية مبتكرة تلائم التوجه العام نحو التنمية المستدامة، سواء في قرية البسايسة نفسها أو في المجتمعات الريفية المحيطة بها. ويستند النجاح الذي حققته المشروعات المنفذة في البسايسة على الحوار المفتوح، والتعلم عن طريق المشاركة والتفاعل، وتيسير الحصول على المعلومات اللازمة، فضلاً عن المشاركة الفعالة للمجتمع والتزامه بتولي المسئولية الاجتماعية. وتعكس البرامج التعليمية والتدريبية اهتمامات الأهالي ومخاوفهم، وتقوم على تنمية الموارد البشرية ـ الحالية منها والمستقبلية – والبيئة المحيطة. وسوف تعتبر المبادرات التي تقوم بها الجمعيات الأهلية في قرية البسايسة بمثابة أمثلة يحتذي بها في كيفية إحداث التنمية البشرية، وإعمال أساليب الاستفادة من موارد الطاقة المتجددة، وتنفيذ المشروعات المدرة للدخل، والقيام بالأنشطة التعليمية والتدريبية بالمجتمعات التي تأثرت بالبطالة والفقر والأمية.

سؤال كان يلح دائما على صاحب التجربة وهو ما الدور الذي يمكن أن يلعبه المثقفون المتعلمون من أجل المشاركة بشكل نشط في تحقيق التنمية المتواصلة للمجتمع، أو بمعنى آخر هل بإمكان المثقفين، أو المتعلمين، أو الخبراء الفنيين، أو المفكرين ... إلخ – أن يشاركوا في عملية التنمية المستدامة للمجتمع، وأن يلعبوا دوراً نشطاً في تلك العملية؟ فإذا كانت الإجابة بنعم، يكون السؤال التالي هو كيف؟ فمن الواضح أن ذلك لن يتحقق سوى بتحديد أهداف واضحة، ووضع خطط فعالة، والالتزام بتنفيذها مع مشاركة حقيقية وفعالة من كل أفراد المجتمع.

ولأن صاحب التجربة أستاذا جامعيا[1] يدرك معنى التخطيط الذي ينطلق من التقويم والتقييم البيئى للمشروع فقد قرر القراءة والدراسة للتجارب المماثلة على المستوى المحلى والدولى فقد إتضح له أن الأماكن التي كانت تصنف على أنها "قرى تابعة" تمثل أكثر الشرائح الاقتصادية الاجتماعية للسكان انخفاضاً داخل الشكل الهرمي الاقتصادي الاجتماعي بمصر. وحيث أنه قضى جميع سنوات طفولته، والسنوات الأولى لشبابه، في مدينة الزقازيق، عاصمة محافظة الشرقية، فقد بدأ جهود البحث عن طريق انتقاء قرية تابعة تكون على مقربة من مسقط رأسه ـ فى كثير من الأحيان نذهب للبحث عن الكنز خارج أنفسنا وخارج أوطاننا والكنز فى داخلنا وفى أوطاننا ـ وبعد أسبوع كامل من التفكير، تلتها أيام من البحث الميداني، اختار صاحب التجربة قرية البسايسة، وهي قرية تابعة صغيرة تتوسط عدداً من القرى الصغيرة يصل إجمالي عدد السكان فيها إلى قرابة

[1] حديث شخصي مع د. صلاح عرفة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، فبراير 2006.

25 ألف نسمة. والبسايسة، شأنها في ذلك شأن حوالي 30 ألف قرية تابعة أخرى بمصر، هي عبارة عن مجتمع ريفي صغير. ويبلغ تعداد سكان قرية البسايسة نفسها 320 نسمة، يعيشون في 45 بيتاً، ويمثلون 62 أسرة. وتقوم الحياة في القرية على الزراعة وتنتظم تبعاً لدورتها. ويشارك جميع الرجال والنساء والأطفال في إنتاج المحاصيل الزراعية ومخلفاتها وتصنيعها، وهو ما يشكل مورد الرزق الرئيسي لهم. وتقع القرية في قلب دلتا النيل، على مسافة 100 كيلومتر شمال شرقي القاهرة، و15 كيلومتراً شمال غربي الزقازيق. وتنقسم الأراضي الزراعية في البسايسة إلى حوالي 80 فداناً، يقوم سكان القرية على زراعتها بالكامل.

وقد تم اختيار البسايسة لتكون مركزاً لأغلب الأنشطة، على أساس أنه يمكن بسهولة انتشار الإنجازات الناجحة التي تتحقق هناك إلى المجتمعات الأخرى المجاورة لقرية البسايسة وإلى غيرها من الأماكن. وكان الهدف الرئيسي من وراء العمل في البسايسة هو تعليم السكان وتدريبهم بغرض رفع وعيهم بالبيئة التي يعيشون فيها، وبإمكانياتهم الخاصة، ورعاية ودعم مشاركتهم التعاونية والفعالة، على نحو ديمقراطي حر، وفي إطار عملية متواصلة تستهدف تنمية المجتمع، لأن صاحب التجربة على قناعة أن المواطن المتعلم الواعي والمدرب فنياً، والذي يعيش في بيئة صحية وديمقراطية، هو المطلب الرئيسي للتنمية المستدامة للمجتمع. لذا، فأن تحقيق هذا الهدف طالما تربع على رأس قائمة أولوياته فى إطار الدور القيادي الذي يقوم به في الجامعة، وفي الجمعيات الأهلية، وداخل المجتمع.

وكانت أهم الإنجازات التي تحققت في تجربة البسايسة هي إقامة حوار مفتوح، تكون فيه للمواطنين أصواتا مسموعة، فيستطيعون التعبير عن آرائهم بحرية، وأن توضع هذه الآراء موضع الاهتمام، وحيث يتم تقديم أفكار جديدة أو تطويرها، وحيث يتم إعادة النظر في التقنيات القديمة والأفكار المتأصلة السائدة وفحصها. بيد أن الحوار لم يكن ينته في معظم الحالات باتخاذ قرار، ولكنه استمر على نحو غير رسمي في معظم الأحيان ولفترة زمنية طويلة، قبل تبلوره إلى شكل محدد جاهز للعمل والتطبيق.

لقد ساعدت الزيارات الأسبوعية التي كان يقوم بها الفريق القائم على المشروع على استمرار تلك العملية، وتم النظر في جميع الإسهامات، على أن يكون هناك التزام تام باتباع قواعد ومداخل ثلاث فى منهج العمل:

- كان دورالأفراد من خارج ذلك المجتمع، هو مساعدة أفراده علي التعلم، والتدريب، والتوجيه، ودعمهم فكريا وماليا، وتعزيز المبادرات التي تأتي من مستوى القاعدة الشعبية، على ألا يتم أي من ذلك بدون المشاركة الفعالة لأفراد المجتمع.
- استندت الأنشطة في الموقع إلى العناصر التي حددها سكان القرية على أنها حاجات، وتم تنفيذها بطريقة عملية تقوم على المساعدة الذاتية.
- التعرف على القيادات المحلية المتعلمة، وتدريب تلك القيادات، وتقديم الدعم لها من داخل المجتمع نفسه.

فالتنمية المتواصلة للمجتمع لابد وأن تتأصل داخل كل فرد، وأن تصير جزءاً من تفكيره، وأن توجه بالتالي سلوكه اليومي. وهنا تبرز أهمية التعليم والتدريب المستمر كمطلب رئيسي لتحقيق تلك العملية. لقد اهتم المشروع في الأساس باستكشاف إمكانية استخدام موارد الطاقة الطبيعية والمتجددة بالطرق الملائمة للوفاء بحاجات القرى في إطار عملية التنمية المتواصلة للمجتمع. وقد صمم بحيث يكون بمثابة دراسة ميدانية بحثية عملية متكاملة بحثت سبل ربط التطورات العلمية والمعارف على نحو ذي مغزى، يراعي اهتمامات تنمية المجتمع في القطاع الريفي. وكان الهدف الرئيسي للبرنامج هو تطوير الممارسات التدريبية والتعليمية بالقرية، وبغيرها من المجتمعات الريفية المحيطة، وربط تلك الغاية بالأهداف الأوسع نطاقاً، والمتمثلة في التنمية الطبيعية والبشرية المتواصلة. ويبين المشروع أنه يمكن للتنمية الحقيقية أن تتحقق على أفضل نحو ممكن من خلال المعارف التعاونية بالعلوم الطبيعية والاجتماعية، عندما تتأصل في الاهتمام بكيفية جعل هذه المعارف تخدم التجمعات البشرية وتفيدها. وعلى الرغم من أن أنشطة المشروع تتركز في قرية البسايسة وهي القرية الصغيرة، فإن الوعي باستخدام الطاقة الشمسية، والنهج المتكامل لتعليم وتدريب الكبار من أجل تحقيق التنمية المتواصلة للمجتمع، قد انتشر في منطقة البسايسة، وأيضا انتشرعلى المستويين الوطني والدولي. إن تجربة قرية البسايسة صنعت تطورا لعديد من القضايا البيئية والوعي بها فى مناهج تعليم وتدريب الكبار. أمثلة: إدراج قضية الطاقات المتجددة وحماية البيئة إلى مناهج تدريس اللغة الإنجليزية؛ محو الأمية من خلال التدريب على الخياطة والحياكة؛ إنشاء مكتبة بالقرية وتغذيتها بكتب *اصنع بنفسك* وأخرى حول المهارات الفنية؛

توفير الكتب الجيدة كي يقرأها المتعلمون، مع تسجيلها على أشرطة كي يسمعها الأميون؛ التعريف بفائدة الطاقة الشمسية كمصدر للدخل؛ الارتقاء بتكنولوجيا الغاز الإحيائي؛ توفير أنظمة التدريب بأجهزة تليفزيون وفيديو تدار بالطاقة الشمسية، هذا بالإضافة إلى مساندة مجموعات المتعلمين وتشجيعهم على المشاركة في توعية، وتعليم، وتدريب المجموعات الأخرى داخل المجتمع. أمثلة: توفير الدراجات بنظام الائتمان لأطفال المدارس والعاملين، لتقليل الوقت الذي يضيع في الانتقالات، والاستفادة من بعض ذلك الفاقد الزمني الذي تم توفيره لحضور برامج تدريب وتعليم الكبار؛ والقروض الميسرة لبرامج التنمية المهنية المتخصصة من أجل تدريب الآخرين، هذا إلى جوار مشروعات زراعية وصناعية متميزة فى مجالات الزيتون والتوابل الزيوت، إنها بحق تجربة منيرة فى محيط حياتنا فتحية إلى الأستاذ الدكتور صلاح عرفة الأستاذ بالجامعة الأمريكية، هذا الرجل المرموق وعضو مكتبة الإسكندرية، ورئيس جمعية الهجرة الداخلية والتنمية، إنه نموذج مشرف لهذا الوطن.

نعيش فى غرفة واحدة

إننا نعيش في غرفة واحدة، نؤثر ونتأثر داخل جدران هذه الحجرة بكل ما فيها، أعنى نحن نعيش فى عالم واحد، ومن ثم فالبيئة المكونة لهذا العالم من هواء وماء وتربة وكل ما يحيط بنا له تأثير كبير على أسلوب حياتنا، وعندما نتحدث ونركز على قضايا البيئة هذا يشير بأننا نتحدث عن مستقبل الوطن والعالم، ضماناً لبيئة صحية وسليمة. فالاهتمام بموضوعات البيئة وحمايتها من التلوث، والتركيز عليها كعنصر مؤثر على الإنسان، لم يعد رفاهية للفرد أو مرتبط بتقدم الدول وثرائها، بل إنه حق إنساني أساسي يتعين توفيره لكل مواطن فى المجتمع، حتى يتسنى تحقيق التنمية المتواصلة للأجيال الحالية والقادمة.

والإنسان فى حياتنا المعاصرة أصاب البيئة التى يحيا فيها بكثير من التلوث والذى يعنى إحداث تغير فى البيئة التى تحيط بالكائنات الحية بفعل الإنسان وأنشطته اليومية مما يؤدى إلى ظهور بعض المواد التى لا تتلائم مع المكان الذى يعيش فيه الكائن الحى، ومن ثم يؤدى إلى اختلال عناصر البيئة المحيطة، إذن التلوث صورة من صور الإفساد والضرر، فالإنسان هنا ظالماً لنفسه ولبيئته، وأصبح جانياً ومجنياً عليه فى آن واحد، لأنه لا يحافظ على بيئته وهو فى نفس الوقت يتأثر سلبا نتيجة ذلك، ومن أهم المشكلات البيئية التي تواجهنا في السنوات الأخيرة التلوث الهوائي والبصري والتلوث الضوضائي والإشعاعي، ومن أخطر أنواع التلوث هو تلوث الماء، فالماء مصدر من مصادر الحياة على سطح الأرض،

وينبغي صيانته والحفاظ عليه، حيث " لا يمكن لأي كائن حي أن يعيش بدون الماء، فالكائنات الحية تحتاج إليه لكي تعيش، ويشكل الماء حوالى 65 % من وزن الإنسان، كما يشكل 70% من مساحة اليابسة على سطح الأرض، مما دفع بعض العلماء إلى أن يطلقوا على الكرة الأرضية اسم " الكرة المائية " [1]

إن مصر تؤمن بأن الحفاظ على البيئة تعنى التنمية المستدامة، وإقتناعها أيضا بأن الحفاظ على البيئة أصبح مطلبا ضروريا لحماية صحة الشعب وتمكينه من تحقيق الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية.

قضيتان جوهريتان يجب الإهتمام بهما ووضع أولوية لهما فى خطط العمل البيئى فى مصر، القضية الأولى الحفاظ على نهر النيل، نعم هناك قانون رقم 48 لسنة 1982 بشأن حماية نهر النيل والمجارى المائية من التلوث، ولكن من الضرورى استخدام مبدأ الشفافية والتعامل من خلال البيانات الدقيقة للتعامل مع العوامل المؤثرة على نهر النيل وكيفية وضع منهج علمى للتغلب على هذه المعوقات التى تهدد نهر النيل هذا النهر العظيم الذى يعتبر شريان الحياة، وأحد العناصر الأساسية لصنع الحضارة المصرية عبر التاريخ، ولا ننسى المقولة الشهيرة لليونانى هيرودوت " مصر هبة النيل " نهر النيل أطول أنهار الدنيا وطولة أكثر من ستة آلاف كيلو متر ويمر بتسع دول أفريقية ومنابعه فى بحيرة فيكتوريا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط، كان المصريون القدماء يحترمون نهر النيل ويحبونه لإنهم كانوا يشربون من مياهه ومنها يسقوا زرعهم لذلك قدسوه ورمزوا له باسم " الآله حابى " وكان هذا الإله على

[1] بيئتنا الجميلة، السلسلة الثقافية لطلائع مصر، وزارة الشباب، يونيو 2005، ص 30.

شكل إنسان ويحمل بين يديه القرابين والتى هى عبارة عن هدايا ـ زهور البردى واللوتس أطعمه من الطيور واللحوم والفاكهة ـ يقدمها المصريون للنيل عند الفيضان فتروى مياه النيل الأرض فيشرب الإنسان ويزرع الرض ويأكل الحيوانات والطيور ويعم الخير البلاد. " المورد الرئيسى للمياه فى مصر هو نهر النيل حيث يمثل حوالى 96% من الموارد المائية المتجددة ...، وحصة مصر منه نحو 55 مليار متر مكعب من المياه فى السنة"[1] ولكن نهر النيل يعانى من أخطار صرف المنشآت المختلفة التى تقع على جانبى النهر أو الصرف غير المباشر لبعض المنشآت التى تصرف على الترع والمصارف ولكن تصب فى النهاية فى نهر النيل، من الضرورى المحافظة على هذا النهر العظيم من خلال:

أولا: الرصد الدائم لنوعية مياه النهر والوقوف على أى متغيرات تطرأ على نوعية المياه على طول مجرى النهر

ثانيا: إقامة محطات أرضية على ضفاف النهر لاستقبال المخلفات السائلة وضخها فى شبكات بعيدة عن النهر

ثالثا: تفعيل دور التفتيش البيئى على المصانع التى تصرف على نهر النيل والعمل على معالجة مخلفات المواد لكي تكون سالمة وبعيدة عن النهر

أما القضية الثانية فهى المحافظة على هواء النطاق الحضرى للقاهرة الكبرى، لأن الحفاظ على نوعية الهواء ضرورة من الضروريات المطلقة فى حياة الإنسان، لأنه من المهم تنقية الهواء من الشوائب الغازية والصلبة الناتجة عن مصادر طبيعية او أنشطة بشرية لتحسين نوعية الهواء المستنشق، نعم كان هناك تغيرات خلال العقود الماضية أدت إلى تدهور

[1] تقرير حالة البيئة فى مصر، اصدار مايو 2005، وزارة الدولة لشئون البيئة، 2005، ص 24.

نوعية الهواء فى مختلف المناطق الحضرية والريفية مثل الزيادة السكانية والتى تؤدى إلى زيادة كبيرة فى استهلاك الموارد الطبيعية وتوليد المخلفات بأنواعها والتى يتم التخلص منها عن طريق الحرق المكشوف، إن أكوام القمامة قنابل ساكنة لأنها تحتوى على كمية كبيرة من الغازات القابلة للإشتعال نتيجة للتحليل العضوى للقمامة وقد يتطوع البعض إلى إشعال النار فى جزء من القمامة حرصا على صحة العامة فتمتد النيران إلى ما تحت الركام فتسبب الكثير من الحوادث هذا فضلا على تصاعد الأدخنة الخطيرة بسبب إحتراق البلاستيك والنايلون بالقمامة، والتى يتولد عنها غازات خطيرة مثل غازات حمض الهيدوكلوريك والمعادن الثقيلة مثل الزئبق والرصاص والزرنيخ والمركبات العضوية التى تسبب أمراضا خطيرة للإنسان والحيوان والنبات.

مشكلة أخرى تلوث الهواء وهى التوسع فى الصناعات الإنشائية ومواد البناء مثل مصانع الأسمنت والطوب والتى تتركز منها نسبة كبيرة فى جنوب القاهرة، ونتيجة زيادة عدد السكان زاد عدد السيارات مما زاد نسبة عادم السيارات، بالإضافة إلى زيادة عدد المصانع والمنشآت الصناعية بشكل عشوائى داخل المناطق السكنية، مما أدى إلى إنبعاث الملوثات والمواد الكيماوية وانتشارها فى الهواء، لذلك من المهم نقل الصناعات الملوثة للبيئة من داخل التجمعات السكانية إلى المناطق الصناعية المتخصصة فى المدن الجديدة وغيرها واستخدام الغاز الطبيعى بدلا من المازوت والسولار والبنزين بالإضافة إلى الحد من التلوث الصناعى وذلك بتوفيق الأوضاع للمصانع والشركات واستخدام تكنولوجيا نظيفة غير ملوثة للبيئة، والسيطرة على ملوثات النقل من عواد المركبات

وكذلك ملوثات توليد الطاقة علاوة على زيادة المسطحات الخضراء وزراعة الغابات الخشبية بإستخدام مياه الصرف الصحى المعالجة.

نعرف أن هناك جهودا كبيرة فى مجال التخطيط البيئى وعلى رأس هذه الخطط الخطة الوطنية للعمل البيئي 2002-2017 بوزارة الدولة لشئون البيئة، وأيضا الخطط والبرامج والمشروعات التنفيذية لتفعيل العمل البيئى للخطة الخمسية للدولة 2002- 2007 برؤى مستقبلية واضحة البرامج والمنهج، ولكن علينا ان نبذل قصارى جهدنا أفرادا ومؤسسات من أجل المحافظة على بيئتنا والحد من التلوث لها فى ظل تحديات كثيرة ومتعددة لكى نحافظ على سلامة حياتنا. إن الحفاظ على البيئة لا يمكن أن يتحقق إلى من خلال سلوكيات المجتمع التى يجب أن نبدأ فى غرسها فى أنفسنا وكل من نتعامل معهمٍ، ليس فقط من خلال النصح أو الإرشاد ولكن من خلال القراءة والتعلم والتدريب، لندرك أنه بحمايتنا للبيئة فإننا نحمى أنفسنا من أخطار التلوث بما يؤكد مفهوم المشاركة لحماية البيئة، وتعتبر تجربة "الركن الأخضر" التي بدأت في إطار مهرجان القراءة للجميع - من خلال الكتب العلمية والندوات والمسابقات وتكثيف النشرات والأفلام التسجيلية - مبادرة أثبتت نجاحها وأثمرت نتائج ملموسة فى المحافظة على البيئة. ومن وهنا يأتى دور ضرورة غرس العادات البيئية السليمة للتوعية بقضايا البيئية سواء فى البيت والمدرسة ومركز الشباب والجامعة والمكتبات لزيادة الوعى البيئى. هيا نحافظ على كوكبنا، على وطننا، على مدينتنا، على الحجرة التى نعيش فيها.

اليوم المصرى للكتاب

مصر دائما سباقة في المشاركة مع المجتمع الدولى لكل ما هو حضارى، ويدفع بمسيرة الوطن نحو التحديث والتقدم، لأنه فى ظل ما يشهده مجتمعنا من تحولات فإن إنتاجنا الثقافى مدعو إلى ترسيخ القيم على إختلاف صورها، سواء كانت قيما فكرية تستهدف الكشف عن الحقيقة وتحصيل المعرفة، أو قيما جمالية تسمو بروح الإنسان، أو قيما إجتماعية تحقق التواصل المنشود بين الفرد والمجتمع، فلا شك أن هذه المنظومة من القيم الفكرية والجمالية والإجتماعية هى التى تصنع فى نهاية المطاف منجزات التقدم الإنساني، إنه الاحتفال باليوم العالمي لكتب الأطفال 2 أبريل من كل عام.

حقا إنه من الروافد المهمة فى تحقيق هذه المنظومة المعرفية الكتاب والمجلة ومطبوعات الأطفال التي يجب أن تكون على مستوى تحديات العصر والمتغيرات العالمية ـ الثقافية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية ـ فعصر اليوم مختلف عما قبلة من العصور، ومن هنا يجب النهوض بكتاب الطفل شكلا ومضمونا حتى يرقى إلى المستوى العالمى، ويلحق الطفل المصرى برفاقه من أطفال العالم وهو قادر على مواجهة التحديات، وقادر على الإبتكار فى عالم يتوجه نحو الجودة والتميز.

نعم، إن كتاب الطفل هو بوابة العبور إلى عقل ووجدان الطفل، ومن ثم الإهتمام بالإخراج الفنى من ورق وألوان وأشكال وتصميم، وكذلك

منظومة القيم المطروحة فى هذا الإطار ومواكبتها للتطورات العالمية من علوم وأفكار تفرضها الثورة التكنولوجية من تعددية ثقافية، وأيضا وفى نفس الوقت المحافظة على هويتنا وقيمنا، كل هذه الأشياء تمتزج مع بعضها البعض لكي تبتكر كتابا عصريا لأطفال مصر المستقبل.

وعلى المستوى العام هناك إحتفال باليوم العالمي للكتاب ـ ومصر أيضا تشارك فى هذه التظاهرة المعرفة ـ لقد اختار اليونسكو عبر مؤتمره العام الذي عقد في باريس عام 1995 والذي قرر بإجماع الدول الأعضاء, أن يكون " اليوم العالمي للكتاب وحقوق التأليف " في 23 ابريل من كل عام.

ومن عام 1996 والدول على اختلاف لغتها وثقافتها تقيم بهذه المناسبة كثير من الفعاليات والبرامج والأنشطة ومنها معارض الكتب التي تطوف العالم مثلا في فرانكفورت، بولونيا، تونس، القاهرة، بيروت، أبو ظبي، إنها محاولة لإرساء قاعدة ثقافية تعتمد القراءة سلوكا يوميا.

إحتفال عالمى لكتب الأطفال، وإحتفال عالمى للكتاب بشكل عام، ومن منطلق أن مصر دائما حريصة على المعرفة، وتسعى للنهوض بأبنائها يمكن إقتراح

" اليوم المصرى للكتاب "

ويمكن أن يكون هذا اليوم لمناسبة جليلة فى مسيرة الحياة الثقافية المصرية، ـ وما أكثرها من مناسبات مشرقة فى حياتنا الثقافية ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر: تاريخ إنشاء أول مكتبة للأطفال، تاريخ إنشاء

أول مكتبة عامة فى مصر، تاريخ مولد أحد الأدباء (العقاد، كامل كيلاني، طه حسين، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ) أو تاريخ أول انطلاقة لمشروع ثقافي أضاف للتاريخ المصري لاستنارة أطفال مصر، والأسرة المصرية، نحو قيم العلم والمعرفة والخير والجمال وذلك من خلال القراءة والكتاب.

القراءة شعاع من نور نحو معرفة أنفسنا، ومعرفة الآخرين، ومعرفة الكون الذي نحيا فيه، إن الكتاب واحد من الركائز الأساسية للتعليم والتدريب، وهو فى نفس الوقت عنصر جوهري لاكتساب الثقافة والمعرفة، إن القراءة تعمل على بناء الإنسان بشكل إيجابى مع منظومة المجتمع عقليا وفكريا ووجدانيا، فالقراءة علامة على وعي الإنسان، وشاهد على ارتقاء المجتمعات وتقدم الأمم.

ونحن الآن فى مجتمع المعلومات، عصر المعرفة، تتنوع أساليب القراءة وتتسع لمجالات متعددة، فهناك الكومبيوتر والإنترنت وما بهما من ثورة معرفية حتى أصبحت القراءة الإلكترونية تلك الوسيلة الجديدة سريعة الإنتشار، وهناك عالم التليفزيون وما به من برامج محلية وعالمية، وهناك قراءة النوته الموسيقية وفتح آفاق للقراءة السمعية من مقطوعات موسيقية شرقية، وموسيقى كلاسيكية، وهناك قراءة بصرية للوحة التشكيلية وما بها من ألوان وظلال وخطوط، وكتل وعلاقات بين بعضها البعض، وهناك القراءة للطبيعة منظر البحر مع شروق الشمس بكل ألوان الطيف المتلالئة، وهناك القراءة تحت الميكروسكوب، ومشاهدة حياة الكائنات الدقيقة، وعلى العكس هناك القراءة عبر التليسكوبات العملاقة لقراءة صفحة السماء المرصعة بالنجوم والكواكب ووضعها فى خرائط

فلكية، وهناك أيضا قراءة للوجوه ومعرفة كيف نتحدث مع الآخر، متى نسأل، أين نتوقف عن الجدل، وكيف نبرهن عن قناعاتنا، وآشياء اخرى كثيرة، إن القراءة فى هذا المقام ليست فعل صوتيا عبر النطق بحسب ما تقتضيه الأنظمة اللغوية لأي لغة، وإنما هى هنا تعني الفهم، ومن ثم فإنها تمثل نشاطا معرفيا عقليا، يختلف ويتفاوت بحسب رؤية القاريء، تلك الرؤية التى تحلل ما تقرأ بل وتضيف جديدا لمعانى أخرى مبتكرة، ومن هنا تصنع القراءة شيئا جديدا فينا، فهى مولدة للمعاني وكاشفة للصور التي يتضمنها العالم فى مركب جديد له خصوصيته، ليس هو المقروء تماما، وليس هو القاريء بما هو عليه، وإنما هو مركب منهما معا .

إن القراءة المصحوبة بالتأمل والخيال والتدبر عملية بصرية، ومن ثم فالعين والبصر أصبحا مدخل الإنسان إلى العالم والكون ويعتبر أكثر من 80% من خبراتنا الحياتية نستقيها من خلال هذه العملية البصرية، ومن هنا تصبح الأشياء المرئية هي الجوهر والركيزة الأساسية للمكونات العقلية، والشيء بالشيء يذكر، لعل واحده من أعظم نظريات الإبصار فى تاريخ العلم، هى نظرية الحسن إبن الهيثم الذي صنع تحولا جذريا كبيرا ـ فى علم البصريات ـ حول أن العين لا ترى بذاتها، وإنما ترى العين من خلال الضوء.

إن القراءة تعمل على بناء الإنسان بشكل ايجابي مع منظومة المجتمع عقليا وفكريا ووجدانيا. إن القراءة طريق لنور العلم والدهشة والمعرفة والمتعة.. والسفر من خلال الخيال الخلاق إلى عالم رحب، يقول الأديب عباس محمود العقاد " القراءة تعطي أكثر من حياة واحدة في مدي عمر

الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق. فكرتك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك، ولكن عن طريق القراءة والكتابة، إذا لاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، أو أن الشعور يصبح شعورين، أو أن الخيال يصبح خياليين، كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات من الفكر في القوة والعمق والامتداد.

الآن أقول علينا نقرأ بالعين والعقل والقلب، فالقراءة طاقة محركة متجددة، وهي حالة نمو نحو النضج العقلي والروحي والأخلاقي والاجتماعي. إن القراءة حركة إلى الأمام؛ ندرك بها مسيرة الحياة، ومتغيرات العصر لننطلق للمستقبل، ويظل الكتاب رغم تعدد مصادر القراءة هو الدستور الأول للمعرفة. إن " اليوم المصرى للكتاب " لا ينفصل على التواجد العالمى وإنما هو يوم بهجة معرفية وأيضا هو تأكيد للمشاركة العالمية فى منظومة العالم المعرفي الإنساني.

مجالس الطيبين وخطاب جديد

في يوم كنت أجلس أمام التلفاز أقلب فى القنوات المحلية والفضائية، وفجأة وقفت الصورة على القناة الأولى، ولفت بصرى وسمعى صورة وصوت العالم الجليل د. على جمعة وهو يتحدث عن المراكز البحثية فى سيناء، وما يجب أن نقوم به من حالة تنموية تجاه هذه الأرض المصرية الغالية، وذلك فى برنامج " مجالس الطيبين "[1]، رنت كلمة سيناء فى قلبى وعقلى فتهللت لها نفسى مسرورة، وأخذت تداعيات كثيرة تجول بخلدى، سيناء أرض الفيروز، وعلى ثراها الطاهر كانت معارك السادس من أكتوبر المجيد (10 رمضان) عام 1973م حيث عبرت قواتنا المسلحه الباسله القناه وخط بارليف المنيع الحصين وحطمته، ورفعت رايات النصر وسطرت ملحمه خالده فى تاريخ العسكرية المصرية أدهشت العالم أجمع ببسالة الجندى المصرى وبراعة التخطيط الحربى.

سيناء كان القدماء يطلقون عليها " الأرض التى تحرسها الآلهه" فإننا نؤمن بأن سيناء هى الأرض المقدسة التى باركتها السماء ويحرسها الله من الأعداء، سيناء بها مشروع عملاق، " ترعة السلام " هذا الشريان النيلي الذي سوف يسمح بإقامة مجتمع زراعى وصناعى، ويراعى مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والبيئية.

[1] د. على جمعة: برنامج مجالس الطبية، القناة الأولى، التليفزيون المصرى، الجمعة 22 سبتمبر 2006.

مر ذلك فى ثوان قليلة، وقلت لنفسى: ماذا فى الأمر؟ برنامج دينى يتحدث عن تعمير الصحراء؟! ياللعجب! لا، بل يا لها من فرحة! لقد إعتادت البرامج فى أغلبها التطرق لموضوعات تعنى بفقه العبادات، تتحدث عن الوضوء وسنن الوضوء، وتعريف الصيام، وشروط الحج وحكم الإنابة فى الحج، وما يجب على الحاج فعله، وما يجب عليه تركه إلى غيرها من أحكام العبادات الهامة والضرورية، وأيضا تتطرق لآراء العلماء والمجتهدين فى إستنباط الأحكام من الكتاب والسنه المطهره، باختلافها وتنوعها بين التيسير والتشدد، وكل حسب سنده ودليله ـ وهم وإن إختلفت آراؤهم فى بعض الفروع إلا أن هذا الإختلاف رحمة للأمة ـ والفهم لفقه العبادات هام حيث يقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " ولكن أن يكون التركيز الأكبر، والشغل الشاغل لبرامجنا على هذا الجانب دون غيره، ونترك بعدا هاما لا يقل ضرورة وتعاظما فى منظومة تطور الحياة، ألا وهو فقه المعاملات، إن ذلك يحتاج منا إلى وقفة تأمل ومراجعه؛ لأن فقه المعاملات مكمل أيضا للعبادات وهما وجهان لعملة واحده، كيف نفهم دورنا فى الحياة، كيف نتعامل مع الآخر المسلم وغير المسلم؟ كيف تتكون الأسرة الناجحة؟ كيف نوظف العلم، هل هو للإعمار أم للدمار؟ وغيرها من الموضوعات التى تساهم فى تشكيل ثقافة " قيمة المعاملات لبناء المجتمع " ، فالأمم لم تتطور بالجدل والسفسطة، وإنما تطورت بالعلم والعمل والصدق والإخلاص، وتحضرنى هنا مقولة الإمام محمد عبده حينما زار فرنسا " رأيت الإسلام بلا مسلمين ". قال ذلك لأنه وجد قيم المعاملات من الإتقان والنظام والإخلاص والإحترام فى منظومة حياتهم، وتنطبق هذه المقولة أيضا على الهند وكوريا وسنغافورة وماليزيا والصين، المعاملات الحياتية

حققت النهضة المجتمعية، المعاملات يمكنها أن تخرج بشباب الأمة والمجتمع من خندق التعصب والتواكل والمنظور الضيق للأمور إلى رحابة الفكر والإعتماد على الذات، والإنفتاح على الثقافات الآخرى، بلا ذوبان أو طمس للهوية.

إن قضية الصحراء وتعميرها التى ناقشها البرنامج كانت على أجندة العالم فى مجال البيئة، حيث أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة " عام 2006 عاما للصحارى " إنها محاولة الخروج من التكدس العمرانى إلى الرحابة، ومن فقر الإمكانيات إلى الثروات الكامنة والمختبئة، إنها محاولة إكتشاف الكنوز الغير معروفة لإستخامها الإستخدام الأمثل والأنفع للفرد والمجتمع والإنسانية، قضية جادة ناقشها البرنامج مع الضيف د.حسن راتب واحد من جنود تعمير الصحراء وسيناء على الأخص، قضية يجب التوقف عندها ووضع الرؤى المستقبلية بنهج علمى لإيجاد الحلول لها، فالوطن العربى يقع بكل بلدانه فى قلب خريطة التصحر العالمية، ومصر تعيش فى مساحة 5% من أرضها حول وادى النيل، معنى ذلك أن هناك 95% من مساحتها صحراء، هذه الصحراء تحتاج إلى الرؤى الإستراتيجية لإنشاء مجتمعات عمرانية جديدة تكون مرتبطة بمصادر الثروة، بحيث توفر فرص عمل حقيقية تساعد على الإستقرار وتكوين مجتمعات متكاملة المنافع والمصالح بكل خدماتها من طرق وإسكان ومرافق الكهرباء والمياه والوحدات الصحية والمدارس وأسواق تجارية وغيرها من سبل المعيشة، لأن ذلك سيشجع الشباب على الهجرة الداخلية وإفادة وطنه بدلا من الهجرة الخارجية، كما يعتبر أحد الحلول الهامة للتغلب على مشكلتى البطالة والإسكان.

كشف البرنامج عديدا من العناصر فى هذا الموضوع بلغة حوار محترمة وحضارية بين د.على جمعه بأسلوبه الهادىء والشّيق والمستنير ود.حسن راتب بتدفقه وفهمه لطبيعة أرض سيناء، ونهجه العلمى فى فتح آفاق ومشروعات تعمر بها الصحراء، وخلق فرص عمل للشباب والأسر على أرض سيناء، من هذه العناصر وجود خيرات كثيرة فى سيناء، والأرض ممهدة لإقامة مزيد من المشروعات عليها لأنه لم يتم حتى الآن الإستفادة منها الفائدة المرجوة التى تتناسب مع إمكانياتها الغنية رغم وجود شريان المياه والحياة بها " ترعة السلام " وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا لا يجد الشباب فرصة للعمل فى سيناء؟ ربما تكون الإجابة فى العناصر الأخرى التى أوضحها النقاش والتي نحتاجها وهي:

1- تظل كثير من الأرض والتى يمكن إستصلاحها غير مخصّصة للشباب
2- ضرورة التوسع فى عمل وحدات سكنية صحية بإمكانيات بسيطة تتناسب مع قدرات الشباب حتى يذهب للصحراء
3- يمكن عمل دراسة جدوى لمشروعات صناعات صغيرة إلى جوار المشروعات الزراعية
4- إقامة مراكز بحثية لدراسات الأعشاب الطبيعية ـ وهي أكثر من 3 آلاف نوع ـ التى تتمتع بها سيناء، والأعشاب أحد العلوم المستقبلية
5- تفعيل دور المجتمع المدنى فى إعمار الصحراء

6- سرعة وضرورة التعاون والتنسيق بين متخذى القرار فى المؤسسات المختلفة لتعمير سيناء حتى تكون النتائج سريعة وإيجابية لهذه المنطقة الحيوية.

إنها تحّديات كثيرة تواجهنا ولكن بالعمل الجاد والتخطيط العلمى يمكن أن نحقق هذا المشروع القومى لتعمير سيناء. لم يكن مضمون البرنامج فقط هو الذي لفت انتباهي، ولكن تكاملت معه لغة الشكل من حيث إضافة البعد الجمالى للصورة المرئية، بمعنى أن الرؤية التشكيلية فى الصورة لدى المشاهد من تصميم الديكور، وقطع الإكسسوار الموجودة فى المنظر مع ألوان الأرضية، وعمق الخلفية أضفى بعدا جماليا ومعاصرا ـ فى نفس الوقت ـ للصورة عبر الشاشة، وكذلك توزيعات الإضاءة التى إنسجمت فى رسم لوحة من الحداثة والوقار داخل فضاء مكان التصوير، وذلك لتوضيح معالم الصورة للمتحدثين. هذا ساعد على خلق صورة جمالية رقيقة كونت حالة من الراحة النفسية للمشاهد، ويؤكد ذلك أيضا حركة الكاميرا بتنقلاتها السلسة والناعمة بالإضافة إلى التنوع المتناغم بين اللقطات البعيدة والمتوسطة والقريبة للمكان بكل مكوناته أثناء الحديث. إن هذه التكاملية بين المضمون والشكل يساعدان على تحويل الجمهور من حالة الكسل والملل إلى حالة الجدية والشغف للمشاهدة، ومن ثم يتم وصول الرسالة والهدف إلى الجمهور المستهدف، والذى هو محور وجوهر الحدث، إن هذه التكاملية يمكنها أيضا أن تغير نمطية التفكير من الحالة التقليدية إلى حالة مغايرة إلى روح تفكير مبتكر، فتحية واجبة إلى برنامج " مجالس الطيبين " وهذا الخطاب الجديد الذى أشار إلى أن ذبذبات أرض سيناء فى مصر، لا تقل أهمية عن ذبذبات النيل، وإن

مصر بموقها الجغرافى الفريد، وبأرض سيناء وكنوزها ـ هذا الرأسمال الطبيعى والسياسى ـ يعتبر موردا أصيلا من موارد الثروة القومية، والذى سوف يلعب دوره الحيوي مستقبلا في تقدم هذا الوطن.

الفصل السادس
ثقافة السلام وحوار الحضارات

الثقافة لغة السلام رؤية حضارية

الإنسان كائن اجتماعي وهو فى سلوكه داخل المجتمع يتخذ ألوانا كثيرة ومتعددة من النشاط، هذا النشاط له خصائص سلوكية فى علاقة الجماعة بعضها ببعض، ومن هنا إن الثقافة والمجتمع وجهان لعملة واحده، والعلاقة وثيقة بين المفهومين، لأن الظواهر لا ينفصل وجودها عن الواقع، إن الثقافة صورة متميزة لحياة الناس، ومن هنا تعتمد الثقافة على وجود المجتمع، ومن ثم لا توجد ثقافة إلا بوجود المجتمع، ثم إن المجتمع لا يقوم إلا بالثقافة. والثقافة هى التى تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لتدفق وتنوع مفردات الحياة فى نسيجه لذلك فالثقافة تلعب دورا جوهريا فى حياة الإنسان، لأنها تؤكد الصفة الإنسانية للجنس البشرى.

حاول كثير من العلماء والمفكرين الوصول إلى تعريف محدد لمفهوم الثقافة بالطبع إختلفت الآراء والتعريفات ولكن يمكن القول بأن هناك تعريفا لأحد العلماء المحدثين فى علم الإجتماع وهو إدوارد تايلور حيث يقول " إن الثقافة هى الكيان المركب والذى ينتقل اجتماعيا ويتكون من المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعادات.."[1] وفى هذا التعريف نجد أن مفهوم الثقافة يأخذ بعدا شموليا يجمع بين العناصر الفكرية والسلوكية والمادية، ومن هنا أيضا يتضمن مفهوم الثقافة مجموعة القيم والأفكار والمعتقدات والسلوكيات وأيضا الإنتاج المادى والمعنوى للمجتمع، وعلى ذلك ينفتح مفهوم الثقافة ليشمل الكتاب والقصيدة الشعرية

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 512.

وقطعة الموسيقى واللوحة الفنية والفيلم السينمائى وبناء العمارة والقرية وسلوك الناس وتصرفاتهم فى علاقاتهم المجتمعية لكى تبنى وتشيد رؤية جديدة لتجاوز المجتمع القديم إلى مجتمع جديد يحمل فى طياته روح تدفعه نحو التقدم والتحديث.

إن السلام هدف إنساني يسعى اليه كل من كانت سريرته حب الخير والوئام، لأن السلام هو طريق البناء والإستقرار، طريق التقدم والرقى، فهو أصل كل حضارة، لأن السلام هو مسار الإبداع والإبتكار، فالسلام احترام لكينونة الإنسان، الإنسان بفطرته سالم مسالم محب للسلام كاره للحرب والعنف والدمار يعشق الخير نابذ للشر، هكذا خلق الله الإنسان. إن تحية أهل مصر والعرب والمسلمين جميعا "السلام عليكم" لذلك فإن السلام فى دمائنا فى عقولنا وأجسادنا، حيث نشأ العالم العربى على مبادىء السلام الحنيفة ولم ينشأ على ثقافة العدوان والحرب أو حل الأزمات بإستعمال العنف والحرب. إنها دعوة عالمية لتغيير المفاهيم تجاه المجتمع الدولى، ما أجمل صنع تيار عام للندوة والقصة والمسابقات الإبداعية والحوار فى المعسكرات والرحلات والبرامج وغيرها من الأنشطة للنشء والشباب ولكل الأسرة عن مفهوم ثقافة السلام، مكونات ثقافة السلام، وجهات النظر المختلفة حول معنى السلام، كيف يسهم السلام فى بناء وتنمية المجتمع، إنها دعوة لتغيير نمطية التفكير، إنها دعوة للإستنارة.

ثقافة السلام معناها أن تسود ثقافة الحوار والمناقشة والإقناع في تعاملنا مع الآخرين بدلاً من فرض الرأي، بمعنى آخر إن ثقافة السلام هي أن

نحل ما ينشأ من مشاكل وخلافات عن طريق التفاوض، وليس عن طريق العنف ومن مبادىء ثقافة السلام، أن نقبل المختلفين عنا. ولمحب السلام صفات يتصف بها مثل: غير متعصب، ويرحب بفكر الآخرين، ويميل إلى التعرف إلى كل ما هو جديد بعقل مستنير ومتفتح.

والشيء بالشيء يذكر، إن كلمة السلام صنعت لدى تداعيات لإسم ألفريد نوبل أحد أشهر الأسماء فى العالم، كما تعد الجائزة المعروفة باسمه من أقدم الجوائز العالمية وأكثرها شهرة وأكبرها قيمة من حيث قيمتها المادية، أو من حيث قيمتها الأدبية والمعنوية ... كان نوبل يسجل فى مذكراته معلومات عن سائل النيتروجليسرين و فكر فى كيفية استئنان مثل هذه المادة شديدة الإنفجار ونجح بالفعل عام 1866 فى اختراع الديناميت وحصل على براءة الإختراع فتهافتت على شرائه شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم فى ذلك الوقت وسمى "ملك المفرقعات فى العالم"، و لكن الصحافة هاجمت ألفريد نوبل فى أوروبا وحملت عليه بشدة وأطلق عليه بعض الصحافيين لقب "صانع الموت" لأنه صنع شهرته وثروته من صناعة المفرقعات التى استخدمت فى الحروب تلك الحروب التى تدمر الإنسان والمجتمع. وواجه ألفريد هذه الحملة بأن رسم صورة لنفسه معاكسة تماماً للسائد عنه، فقد صور أنه كان يحلم دائماً بأن يرى نهاية للحروب، وأن يعم السلام بين الأمم وزعم أنه كان يرى فى الديناميت أملاً فى رخاء وسعادة البشرية، من خلال استخدامه فى حفر المناجم واستخراج الخيرات والثروات الطبيعية وشق الطرق لتسهيل التجارة والاتصالات بين البشر. فقرر فى أواخر حياته أن يهب بعض ثروته لكل من يسهم فى إسعاد ورخاء البشرية. تضمنت

الوصية التى تركها مبالغ معقولة لأقاربه وأصدقائه أما الجانب الأكبر من ثروته فقد أوصى باستثمارها فى مشروعات ربحية، ويتم من ربحها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية فى خمسة مجالات حددها: فى الكيمياء، والفيزياء، والطب أو الفسيولوجيا، والأدب، والسلام العالمى.
وأوصى نوبل بأن يكون الاختيار للجوائز نزيهاً، وأن تمنح الجوائز لمن هو أكثر استحقاقاً بها بغض النظر عن جنسية المرشح سواء كان سويدياً أو لم يكن، هكذا إعترف نوبل أنه لا فائدة من الحرب والدمار، إن بناء المجتمع والحفاظ على الإنسان هو الأصل فى مسيرة الحياة.

وهكذا يؤمن المجتمع الدولي بأهمية السلام فقرر أن يكون (اليوم الدولي للسلام (21 سبتمبر من كل عام) إيماناً من المجتمع الدولي بأهمية السلام قررت الجمعية العامة في قرارها المـــؤرخ 7 سبتمبر 2001 ، أن يُجرى إبتداءً من عام 2002 الاحتفال "باليوم الدولي للســـلام، وأعلنت الجمعية أنه سيُحتفل بهذا اليوم بوصفه يوماً لوقف إطلاق النار وعدم العنف في العالم، وهو دعوة لجميع البلدان والشعوب إلى التزام وقف الأعمال العدائية خلال ذلك اليوم، ودعت جميع الدول الأعضاء والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية وغير الحكومية والأفراد إلى الاحتفال "باليوم الدولي للسلام" بصورة مناسبة، بما في ذلك التعليم، وتوعية الجمهور، والتعاون مع الأمم المتحدة في تحقيق وقف إطلاق النار على النطاق العالمي. إن السلام ليس بسلام إذا افتقد مبدأ الجماعة، أي أنه ليس سلام فردى أو سلام دولة وحدها ولكنه منظومة جماعية تضم أجناس مختلفة من البشر لكل منـهم ثقافته وآراءه، ولكن تطلعهم للسلام هو نقطة إلتقائهم.

إن الثقافة لغة السلام يجب أن تتوجها المعرفة لأننا نعيش عصر المعرفة، وقوة المعرفة اليوم تجعل المجتمع يعرف ما يريد يعرف أهدافه المستقبلية يعرفه خططه نحو تحقيق تلك الأهداف، ويعمل على إنجازها بكل الإتقان والتميز.

إن الثقافة لغة السلام أيضا تحتاج القوة المادية في البناء الاقتصادي لكي يكون لها الغلبة فى الإنتصار على قوى الشر وقوى الهدم، إن الثقافة لغة السلام طريق نحو نور المعرفة، طريق نحو الحفاظ على سلامة المجتمع، طريق نحو تقدم المجتمع إلى الأفضل والأجمل.

ثقافة السلام
بين
الإنسان الرقمى والإنسان الإنسان

إن الإنسان كائن متفرد فى هذا الكون، خلقه الله لكى يعمر الكون، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى ندركه ونعرفه يمتلك العقل والإرادة وله القوة والقدرة على تغيير المحيط الذى يحيا فيه، وهو أيضا القادر على تغيير نمطية الحياة نحو المبتكر والجديد، لأن الإنسان يقوم بما لا يمكن للقردة أن تقوم به، فعالم القردة عالم عشوائى، لا يستند إلى عقل بناء، فهم ليسوا قادرين على الإنجاز والعمران، أما الإنسان فهو القادر على ابتداع مجتمعات إنسانية تتميز بالنضج والازدهار تقوم على علوم وفنون وقيم روحية وإجتماعية وبفضلها تتكون الحضارات.

يقول الأديب الفرنسي أندريه مالرو (1901- 1976) في حديث له عن الحضارة الحديثة " إن حضارتنا لا نظير لها فى الماضى، لأنها وريثة هذه الحضارات جميعا... لم يحدث من قبل أن ظهرت حضارة ترى أن الإحاطة بمعتقدات مصر والهند والمكسيك أسس ضرورية لمعرفتنا بالإنسان...لقد امتد مجال المعرفة إلى مدى بعيد فى دراسة مختلف حضارات البشر... كان أجدادنا لا يعرفون غير حضارتهم المميزة أى حضارة البحر المتوسط، ويتصورن باقى الحضارات همجية أما الآن فإننا قد بدأنا نؤمن بوجود تاريخ عالمى واحد، ونبضات عالمية واحدة."

نعم إنها حضارة عالمية واحده، وهى حضارة قوية وهى تتميز بأنها من خلق أناس يفهمون ذاتهم ويدركون مسؤوليتهم عن أفعالهم، وهى تستمد قوتها من ذاتها ومما سبقها من حضارت، ولكن على الوجه الآخر إن هذه الحضارة رغم تقدمها وحداثتها مرضت بالإنسان الرقمى، لا أدرى كيف أعرفه لأنه محير، ولكنى سوف أحاول وصفه، لعل يكون فى وصفه بعض التعريف، الإنسان الرقمى لا يهتم إلا بالأرقام، وهو يتنقل بين الارقام الاسم: لا يهم، البلد: لا يهم، الإنسان الرقمى هوايته التنقل بين خانات الأحاد والعشرات والملايين والمليارات، الإنسان الرقمى يحب أن يملك ويقتنى أكبر عدد من الأرقام والخانات لكى يتباهى بها على البشر، الإنسان الرقمى شغله الشاغل عدد المدافع، عدد الطائرات، عدد المدرعات، عدد الأقمار الصناعية، عدد المقتولين، ، الإنسان الرقمى أحادى النظرة ، لا يعرف إلا أهدافه، لا يحقق إلا أهدافه، الإنسان الرقمى ليس له عقل أو وجدان، الإنسان الرقمى لا يستشعر كلمة أو نغمة أو لون أو حركة أو حتى كتلة صماء، الإنسان الرقمى لا يتأثر بالآخرين ولا يعبأ بهم فهم لا شىء، الإنسان الرقمى لا يعرف الدفء الإنسانى أو ضوء القمر، الإنسان الرقمى لا يعرف معنى الوقت، لا يدرك الصباح من المساء، الإنسان الرقمى لا يعرف رائحة الورد أو الياسمين، ولا يرى الأطياف المتلألئة، ولا يعرف الألوان، الإنسان الرقمى حجر صلد، الإنسان الرقمى مثل الإنسان الآلى حركاته روبوتية لا يفعل إلا ما يملى عليه دون عقلانيه، الإنسان الرقمى لا يعنى بالمبررات، لا توجد لديه مبررات، لا شىء سوى أن يأخذ من العالم كل ما يقدر على أخذه، ومن يأخذ أكثر هو الأكثر تفوقا، لا يهم كيف يحدث هذا، يعتنق الإنسان الرقمى

المادية والقوة اللتان تحددنا بالفعل قوة البطش، إن هذه القوة هى أول خطوة فى طريق تدمير نفسه، وفى طريق المادية التى تقوده لأن يصبح إنسانا تخلى عن كرامته ومشاعره وولائه، الإنسان الرقمى يتنفس الغبار الذرى، الإنسان الرقمى لا يعرف معنى الأشياء، يحمل خيالا تدميريا للبيت والطفل والورد والقش والسنبلة، هو يستنفد كل طاقاته فى التدمير لأنه يتسم بالشراسة والفظاظة، إنه التعصب الأعمى الذى لا يرى إلا ذاته المتضخمة التى تهدر آدمية الإنسانية، الإنسان الرقمى يحمل فى داخله جينات إنهياره، فهو يسير نحو الوهن، إن سلوكياته تنافى العقل والوعى الحضاري السليم.

أما الإنسان الإنسان فقد وجدت سهولة فى تعريفه فوجدتنى أقول بشكل مختصر هو " مبدع الحضارة " نعم فهو ينتمى لجيل المبدعين والبنائين العظماء فى تاريخ الإنسانية، المبدعون والبنائون الذين يغيرون من صفحات التاريخ نحو الأفضل والأجمل لبنى البشر، وذلك لأن الإنسان الإنسان يحمل قيم العلم والمعرفة التى تساهم فى تطوير الحياة، الإنسان الإنسان يؤمن بقيمة العمل الجاد والمخلص كقيمة كبرى للبناء والتطور، الإنسان الإنسان يحترم الآخر فى آرائه ووجهات نظره، فهو يفهم الرؤى المتعددة ولا يقتصر على أحادية النظرة، الإنسان الإنسان يرى أن التنوع الثقافى ثراء، وينظر للحضارات على أنها متكاملة وليست متصارعة، الإنسان الإنسان يتذوق الفن والجمال فى كل الأشياء، إنه يتخاطب مع النبات والجماد، يستشعر أن تيارات روحيه تربطه بالشجرة والزهرة والهضبه وأن هناك حوارات متبادلة بينهم، الإنسان الإنسان قلبه أرق فى خفقانه من الطيور المغردة السابحة فى السماء العاليه، الإنسان الإنسان

يحمل قيم الزهد ـ وهو يمكن أن يمتلك ما بين القطبين الشمالى والجنوبى من خيرات ـ لأنه يوظف ما لديه لرقى مجتمعه، الإنسان الإنسان لا يرتفع على حساب الآخرين، ولا يتجاوز الآخرين، وليست الغايات لديه تبرر الوسائل، لأن فى داخله يحمل جينات الرأفة والرحمة والإيثار والتفائل، الإنسان الإنسان يحمل خيالا خلاقا يجمل الواقع، ويستشرف رؤى المستقبل، الإنسان الإنسان يملك حكمة الشرق القديم الباحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات فى محاولة للبحث عن الحقيقة، عن النور الذى يوضح طريق المسير للرقى الإنسانى.

إن حضارة عصرنا رغم تفوقها مرضت بالإنسان الرقمى، ومن ثم لا بد من جهود مضنية لعلاج مسارها، وتصحيح مساره، الخطر يحدق بالإنسانية، وعلى الإنسان الرقمى أن يتنبه، أن يتراجع، وعلى الإنسان الإنسان أن يتصدى، أن يقاوم، أن يكون جبهة صد وردع ونضال للمحافظة على قيم الحق والخير والجمال، الإنسانية بحاجة إلى البنائين فى مسيرتها للتطور المستنير.

ومصر بحضارتها وتاريخها أرض السماحة والسلام وهى تواصل مسيرتها فى التمسك بقيم السلام لأن السلام منطق العقلاء على وجه الأرض، وترنيمة كل إنسان عذبته أهوال الحروب، ولأن السلام هو تطلع الأرواح البريئة إلى شاطئ الأمان، إنه البحث عن البقاء، والاستقرار، إن ثقافة السلام هى القاعدة الأساسية والدعامة القوية التي تمكن الإنسان من أن يعيش في خير ورفاهية وطمأنينة وتساعده للعيش في بيئة صالحة قادرة على تحقيق الازدهار الثقافي والحوار الفكري والفهم السياسي

بأسلوب إنساني يتسم بالرقي والتوازن وفي إطار مبني على الاحترام المتبادل والحوار البناء المتكافئ، كبعد تنويرى لكى نبنى " الإنسان الإنسان" ضد " الإنسان الرقمى " بالفعل لن يعالج أمراض الإنسان الرقمى إلا ثقافة الإنسان الإنسان، ثقافة السلام، لأنها قادرة على بناء الحضارة والمحافظة عليها واستمراريتها، لأن الحضارة مرادفة للثقافة، وهذا يعنى أيضا أن الثقافة هى التى تخلق الحضارة.

ثقافة السلام ونداء أينشتاين

هل يفهم الآخر؟!

الحرب على مدار التاريخ جعلت العالم يتناثر مبعثراً، تتناثر الجدران والأشجار وبنو البشر وتتبعثر معها الأحلام، ولكن هل يمكن أن تتجمع هذه الأجزاء المتناثرة مرة أخرى لكي يعاد ترتيب الأشياء فى صورة طيبة؟ إنها مسألة صعبة، لأنه إذا نجحنا فى إعادة بناء كل ما هو مادى للإعمار، فمن يكون قادراً على إعادة الأرواح التى ذهبت الى العالم الآخر بكل ما كانت تحمله من آمال وطموحات وتطوير للحياة التى نحياها؟ ومن ثم هناك ضرورة ملحة لبديل يكون قادرا على منع الحرب وأن يساهم بمنظومة مغايرة للشعوب وبحاجتها للتواجد الحياتى والحضارى، إنها ثقافة السلام التى تعمل العقل، ووسط أجواء الحروب تنطلق أصوات الرؤساء والعلماء والمفكرين بالحكمة والمنطق لكي يوقفوا الحروب المدمرة للإنسانية والتحضر، وواحد من هؤلاء العلماء آلبرت أينشتاين.

آلبرت أينشتاين (1879 - 1955) هذا العالم الذى يعتبر من أهم شخصيات القرن العشرين، صاحب نظرية النسبية، تلك النظرية التى فرضت وجودها ليس فقط على عالم الرياضيات والبحث فى علم الكونيات، وإنما امتد تأثيرها على الفلسفة والفن التشكيلى والرؤى الثقافية، أينشتاين الذى يعزف الكمان ويعشق الموسيقى الكلاسيكية، أينشتاين ذو التفكير العميق المحب للتأمل والذى يعتبره نقطة إنطلاق للإبتكار فى عالم

الخيال هذا العالم القادر على تكوين أفكار جديدة مغايرة للواقع المألوف ـ نعم إن القوة التخيلية لها دور مهم فى المجال العلمى وهى فى نفس الوقت ذات حدين، فهى مصدر مهم فى البحث عن كل معرفة جديدة، ولكنها يمكن أن تكون خطراً إذا لم يكن هناك نظام يضع الإطار العام فى خطوات محددة تصنع رحلة وصول لهدف ـ يؤمن أينشتاين بهذا النوع من الخيال المبتكر، ويؤمن أيضاً بقيمة العمل والبحث كمتعة حقيقية للكشوف العلمية، ويؤمن أيضا بأن للعالم دورا فى محيط تواجده الإنسانى فهو ليس منفصلا عما يدور حوله ولكن هو جزء من كل.

لقد كانت لآراء أينشتاين العلمية نبوءات كثيرة أثبتت الأيام صدقها وصحتها على سبيل المثال ينكسر شعاع الضوء عندما يمر فى مجال جاذبية الشمس، وكانت المفاجاة عندما حدث كسوف كلى للشمس فى 29 مايو 1919، حيث أكدت الصور التى تم إلتقاطها صحة ما قاله أينشتاين حتى العلامة العشرية للرقم الذي حسبه في معادلته الرياضية، إذ انحنى شعاع الضوء فعلاً بالطريقة ذاتها والمقدار نفسه الذي حدده عالمنا آنفاً، لذلك منحه المجمع السويدى جائزة نوبل عام 1921 ومنحته الكثير من الجامعات الدكتوراه الفخرية ومنها السوربون 1929.

وكانت أيضا لأينشتاين وجهات نظر إجتماعية فى رفضه للحروب لا تقل أهمية عن نظرياته العلمية فهل يصدقها الآخر ويفهمها مثلما صدق الجانب العلمى؟ سوف أذكر هنا موقفين جديرين بالتامل والإحترام، الموقف الأول، نداء السلام، نداءه إلى مؤتمر الطلبة لنزع السلاح، الذي ألقى على جماعة من الطلبة الألمان الداعين إلى السلام عام 1930،

ونشر فى كتاب " كيف أرى العالم" سنة 1934، يكتب أينشتاين " لقد أهدت إلينا الأجيال السابقة علماً وصناعة فائقة التقدم وهما هدية قيمة تتيح لنا أن نجعل حياتنا حرة جميلة إلى حد لم يبلغه أحد قبلنا. ولكن هذه الهدية تحمل فى ثناياها أيضاً أخطار تهدد كياننا أكبر من أى أخطار هددت هذا الوجود من قبل...إن مصير البشرية المتمدينة يتوقف الآن أكثر من أى وقت مضى على الطاقة الأخلاقية التى فى مقدورنا أن نؤديها، ومن هنا كانت المهمة التى ألقيت على عاتق عصرنا أصعب دون شك مما أداه أسلافنا...إن أساليب الحرب الميكانيكية قد تقدمت بشكل يجعل الحياة فظيعة لا تطاق مالم يكتشف البشر سريعاً وسيلة ناجحة لمنع الحرب. ولا يعدل الأهمية الحيوية التى لهذا الهدف إلا عدم كفاية الوسائل والخطوات التى اتخذت اليوم لبلوغه...إن بعض الناس سيحاولون التقليل من خطر الحرب. ولكن الحرب ليست لعبة من ألعاب التسلية يتقيد فيها اللاعبون بالقواعد والأصول فعندما يتحول الأمر لمسالة حياه أو موت تسقط القواعد أو الإلتزامات. إن أقل ما يلزمنا هو أن نجحد كل حرب جحوداً مطلقاً ولا يكفي أن يكون هناك مجلس دولى للتحكيم إذ لابد من أن نعقد معاهدات تضمن تنفيذ قرارات مثل هذا المجلس بواسطة كل الأمم فى عمل جماعى واحد وما لم يتوفر مثل هذا الضمان لن تستطيع الدول أن تنتزع السلاح جدياً ولن تجبر على ذلك"[1]

يدرك أينشتاين قيمة الحياة الإنسانية وعلى ذلك يروع من مآسى الحروب التى تنهار معها كل الأصول والأخلاقيات، ويطالب المجتمع الدولى أن يتخذ موقفا تجاه هذا العبث بحياة الإنسان من خلال القواعد والمواثيق

[1] ألبرت أينشتين: أفكار وآراء، ترجمة، د. رمسيس شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 153، 154.

الدولية، وأيضا أن يلعب المجتمع المدنى دورا لمنع الحروب، لقد أدرك أينشتاين مسئوليتة ومسؤولية العلماء عن الأسلحة التى ساهموا فى إبتكارها وتم إستخدامها فى الحرب، ولكنه يقول فى هذا الموضوع "إن علينا نحن العلماء الذين أدى بهم قدرهم المأساوى إلى المساهمة فى جعل وسائل التدمير أكثر شناعة وأكثر فاعلية، أن نعتبر، واجبنا المقدس والأسمى أن نفعل كل ما فى وسعنا من أجل منع إستخدام هذه الأسلحة." وعندما علم أينشتاين بتدمير هيروشيما وناجازاكى باليابان (1945) لم يكن يتوقع هذا الدمار وهذه النتائج المؤلمة للإنسان والبيئة وقال بدهشة " لم يخطر ذلك ببالى على الإطلاق" لقد روعه ما حدث ولذلك فهو يرى أن السعى الإيجابى فى سبيل حل مشكلة الحرب واجب أخلاقي من ألزم الواجبات ولا يستطيع أحد التهرب منه.

أما الموقف الثانى والذى لا يقل أهمية وتقديرا عن الموقف الأول فهو دوره فى بناء مستشفى، بعد الحرب العالمية الثانية أراد الأمريكان أن يشيدوا مستشفى، وكان من المقترح أن تتكون لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ، وكانت فكرة اللجنة عمل "يانصيب" على شيء له قيمة يتسابق أصحاب الملايين على إقتنائه كأثر باقٍ على مر الزمن، وكانت الفكرة هى أن يحصلوا على النشرة الأولى التى كتبها أينشتاين بخطه عن نظرية النسبية (1905) ثم يقوموا بطرحها فى مزاد علنى لكى يحصلوا على أكبر مبلغ ممكن، ولكن بسؤال المنوطين بدورية برن التى نشرت نظرية أينشتاين، والتى كانت مكونة من ثلاثين صفحة، أجابوا أن نص الدورية موجود منه نسخ مطبوعة، أما الأصل فكان حظه سلة المهملات، وسمع أينشتاين بما دار من مكاتبات، على الفور كتب أينشتاين بخط يده هذه

النشرة مرة ثانية فى ثلاثين صفحة وأضاف إليها ثمانى صفحات جديدة ووقعها وأرسلها إلى اللجنة. فهل تعرف عزيزى القارىء كم بلغ الثمن لهذه المخطوطة؟! لقد بلغ الرقم ما يوازى خمسة مليون جنيه ـ وهو رقم كبير جدا لهذا الوقت ـ وكانت المخطوطة من نصيب مكتبه مجلس الشيوخ الأمريكي، وبنيت المستشفى لكي تكون رمزاً للرحمة والإرتقاء بالمجتمع الإنسانى إلى الأفضل، وإلى قيم ثقافة السلام.[1]

لم يتخل أينشتاين عن دوره فى ندائه نحو السلام، لم يأخذ موقفا إنعزاليا، وإنما ساهم بجهده ووقته حتى يدرك الآخر هذا الوعي الإنساني نحو قيم وثقافة السلام، فهل سيدرك الآخر هذه الإستنارة؟!

[1] انظر د. محمد محمود غالى: محيط العلوم، مقال الراديوم- النسبية-الطاقة الذرية-قنبلة الهيدروجين، دار المعارف المصرية، 1966، ص 265، 266.

نجيب محفوظ
القراءة وثقافة السلام

إستيقظ الأديب العالمى الكبير نجيب محفوظ وهو يرقد على سريره فى المستشفى على أصوات قصف المدافع والصواريخ والطائرات لمدن لبنان ـ في نشرة الأخبار ـ وسأل من حوله، هل هناك توصل لحل هذه الأزمة الدامية التى تجرى فى لبنان؟ وكانت الإجابة بالنفى، لا، لم يتم التوصل إلى إتفاق لوقف إطلاق النار، حينئذ شعر الأديب الكبير بالمرارة والحزن والأسى، وقال " أعوذ بالله ". إن نجيب محفوظ بهذا السلوك يمثل نموذجا للمثقف الفاعل، المثقف المنير، كما يقول المفكر د. زكى نجيب محمود (1905-1994) فهو الذي يتفاعل مع الأحداث يؤثر ويتأثر بها، لا يترك الأشياء تمر دون إشتباك إيجابى معها، لأنه يؤمن بأنه مطالب أمام نفسه وأمام الناس بالرأى، فالكلمة التى يملكها لا تقل عن قوة السلاح.

كان لهذا الخبر الذي قرأته في إحدى الصحف تداعيات كثيرة ذكرتنى بلقاء هام للأديب العالمى مع مجموعة من نشء وشباب مصر وهم يهدونه كتاب " أنا نجيب محفوظ.. سيرة ذاتية "[1] تأليف الكاتب إبراهيم عبد العزيز من إصدارات المجلس القومى للشباب، كرائد تنوير لرحلة عطاء معرفى يؤمن بقيم العلم والعمل والسلام كمعطيات للبناء الحضارى للوطن الأم مصر والعالم العربى، وأيضا للوطن الكبير، العالم، فنجيب محفوظ لا يتشرنق داخل ذاته، وإنما هو ينفتح بعقل رحب وبروح طواقة للتواصل

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ... سيرة ذاتية " المجلس القومي للشباب، السلسلة الثقافية، يناير 2006.

مع الإنسانية، لقد كان لهذا اللقاء عديد من المحاور الهامة نحاول أن نستعرضها، أولا: القراءة بوابة المعرفة، عندما سأله أحد الشباب ما هى أهم نصيحة تقولها لجيلنا؟ بلا تردد وبصوت قوى يمتلىء ثقة وحيوية قال الأديب الكبير: القراءة، القراءة، القراءة، كررها ثلاث مرات لأنه يعرف أن القراءة طريق المعرفة، القراءة تسلحنا بالعلم الذى هو سمة العصر، والعلم قوة، العلم يجعلنا ندرك المحيط الذى نحيا فيه، يجعلنا نقيم الأشياء بأبعادها الحقيقية، يجعلنا نضع الأهداف والخطط والبرامج للمستقبل، إنها القراءة فى كل المجالات الأدبية والفنية والسياسية والإقتصادية وغيرها من المجالات التى تفتح الآفاق نحو رؤى جديدة مبتكرة، ويذكر الأديب العالمى نجيب محفوظ أن مدرس اللغة العربية كان له أثر كبير في توجيهه لقراءة الأدب والتراث لأنه لم يكن يتقيد بالمنهج المقرر وإنما يتطرق لموضوعات كثيرة متنوعة ويذكر أنه كان دائما يضفي علي الحصة بهجة كبيرة بالاستشهاد بأبيات شعرية وحكايات أدبية ذاكرا مصادرها، وكان أيضا يدلهم علي كتب من التراث القديم والمعاصر مثل كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، وألف ليلة وليلة وكتب المنفلوطى لذلك بدأ يقرأ كتبا لم يكن جيله يقرؤها أو يعرف عنها شيئا، وأيضا كان يوجههم للأدب العالمى مثل أعمال شكسبير وجوته وديكنز، كل ذلك ساهم فى تكوينه الثقافى، ويؤكد ذلك مهرجان القراءة للجميع تحت رعاية السيدة الفاضلة سوزان مبارك كمشروع حضارى للأسرة تنهل منه كنوز الكتب التراثية والمعاصرة بأسعار بسيطة، ليكون منارة ثقافية لتنمية المجتمع.

ثانيا: العمل، وكان هناك سؤال آخر من أحد الحاضرين كيف يمكن الحصول على جائزة نوبل؟ وأشار الأديب نجيب محفوظ ـ الحاصل على جائزة نوبل عام 1988 ـ أن الطريق إلى النجاح، كان هو العمل الدؤوب حيث أنه يعمل من أجل قيمة العمل، وليس سعيا وراء المال أو الجاه أو الشهرة. وأكد أنه يؤمن برسالة الكلمة ومدى تأثيرها على المجتمع كروح تنويرية وتثقيفية وتعليمية وأن أحد العناصر للإنجاز فى العمل، هو النظام، النظام الذى يطيل الوقت، يقول الأديب الكبير عندما كنت تلميذا كنت أحب الاجتهاد لأن الاجتهاد في حياتي ركيزة أساسية، لقد كنت كطالب من أسرة فقيرة يجب على أن أنجح وبتفوق، فكنت أحب الرياضة، وأحب أن أسمع أم كلثوم وعبد الوهاب وأحب أن أسهر مع الأصدقاء وإذا استسلمت لرغبة من هذه الرغبات أو هواية واحدة يمكن أن تبلعنى، لي أصدقاء كثيرون بلعهم السهر وبلعهم الشغل وبلعهم الاجتهاد، إنما من أجل أن تستمتع بكل هذا ينبغي أن تجعل لكل هواية أو رغبة أو متعة خانة لكي تضبطها وبالفعل ذاكرت ولعبت وأحببت هوايات ولكن في اطار منظم وطوال الأسبوع كنت طالباً ملتزماً متفرغاً لدراستي والعلم وأما يوم الخميس والجمعة كنت شيئاً أخر، النظام يحكم كل شيء أذكر أن بعض أصدقائي من شلة الكرة أستهلكهم لعب الكرة لأنهم اندمجوا في اللعب وأضاعوا دراستهم والسبب الأساسي لمحنتهم هو عدم النظام لا أكثر ولا أقل أو بالعكس يتفوقون لحد لايجدون فيه فرصة للعب، كي نجمع أشياء كثيرة علينا أن ننظم وقتنا، هذا النظام جعله يتفرد فى كتاباته الروائية وهنا يقول توفيق الحكيم (1898- 1987) فقد جاء روائى شاب موهوب كرس حياته للرواية وحدها، فلا شعر ولا مسرحية ولا سيرة ولا مشاركة مع نوع آخر من أنواع الكتابة مثل بقية الرعيل الأول الذى كانت

مشاركاته مع أنواع أخرى مع الرواية تمثل الأدب العربى كله، هذا الروائي الموهوب المخلص للرواية وحدها هو نجيب محفوظ. دخل الشارع وإذا به بعد قليل قد شيد فيه العمارات الشاهقة، ونظم الأرصفة، ووسع الشارع ووضع المصابيح.. وتبعته أجيال نشيطة مخلصة، فإذا شارع الرواية قد أصبح من أهم شوارع الأدب اليوم بفضل جهوده التى قصرها على الرواية وحدها. فإذا وضع لهذا الشارع اسم فلا شك عندي أن نتفق جميعاً على أن يكون اسم شارع الرواية: نجيب محفوظ ... بل إنى أقترح أكثر من ذلك وهو أن يكون للرواية عيد سنوى يكون يومه هو يوم عيد ميلاد نجيب محفوظ، ولنطمئن جميعاً على مستقبل الرواية بهذا العيد السنوى. "[1]

ثالثا: ثقافة السلام، وتطرق الحديث عن الحرب سواء على المستوى الإقليمى أو العالمى، وكان رده أن الحرب تدمر الأخضر واليابس، الحرب تقتل الأطفال والنساء والشيوخ، الحرب دمار للإنسان، الحرب دمار للحضارة والتحضر، ومن هنا تأتى قيمة السلام فى البناء والتنمية، فالسلام هام، يعلم نجيب محفوظ ماذا تعنى الحرب، إنه يعلم أنها كارثة إنسانية، لأننا نعرف متى بدأت الحرب، ولكن لا أحد يعرف متى تنتهى، وإلى أى مدى ستكون العواقب والخسائر، لذلك ثقافة التفاوض وثقافة السلام يمكنها أن تحقق ما لا يمكن تحقيقه بالحرب، نفس الرؤية تمسك بها الأديب الإنجليزي برنارد شو (1856-1950) حيث يرى أن السلام هو الطريق الأوحد للتنمية والحضارة، وعندما جاهر برأيه هذا ضد الحرب العالمية الأولى عام 1914 ونادى بالسلام، اعتبر خائناً ووضع فى

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ سيرة حياة كاملة، نفرو للنشر والتوزيع، 2007، ص 14، 15.

السجن، وبعد ذلك ظهر أن موقفه كان سليماً وأصبح أشهر كاتب فى إنجلترا وكرمته الحكومة.

إن ثقافة السلام تصنع التنمية البشرية، تهيىء مناخ الإستثمار، تعمل على الإستفادة من ثورة المعلومات والإتصالات والتكنولوجيا المتطورة والتى صارت سمة هذا العصر، إن ثقافة السلام المدخل الحقيقى للتنمية الشاملة فى ظل وجود الإستقرار والأمن، فى عالم اليوم، عالم القرية الصغيرة، عالم التنوع الثقافى، عالم التطور السريع، من الضرورى للمجتمع الدولى أن يكون منطقيا وعادلا فى إيجاد حلول سلمية لوقف الحروب على كوكب الأرض، حتى ينعم هذا الكوكب بالأمن والسلام، لأننا جميعا شركاء.

حوار الثقافات نحو مستقبل أفضل

إن للإنسان آراء فى طريقة النظر Prospective إلى شيء ما، ومن هنا يأتي التنوع، لأنه لا يوجد اثنان ينظران لنفس الموضوع بنفس الطريقة، وطريقة النظر هذه ليست عملية موضوعية فقط، ولكن تتداخل في نسيجها الثقافة كجوهر من خصوصيتها، وعلى ذلك تتنوع سمات الشعوب والأمم والمجتمعات فى الحضارات المختلفة، وحتى فى البلدان الواحدة، فالقيم فى الحضارة الصينية تختلف عنها في الحضارة العربية أو الحضارة الغربية، إلا أن الرؤية الحضارية هي التي تنظر إلى تقوية وتعزيز وتشجيع التشابه الثقافي والتعدد الثقافي كثراء معرفي، وأن يكون الهدف هو عصر تعايش حضارات متعددة من خلال حوار الثقافات.

ولكن العالم من حولنا اليوم يموج بمهاترات، ومنازعات، وجدل، وتجاهل، ونفى، وتشويه للآخر بكل مقوماته الثقافية لكسب معركة التواجد والسيطرة والهيمنة، وهذا إن دل على شى فانه يدل على قصور فى الفهم والتبصر، وعدم محاولة للوعى والإستيضاح، وعلى الجانب الآخر ليست هناك محاولات كثيرة لبذل الجهود لتوضيح الرؤى ـ بوسائل متعددة ـ تكون قادرة على الإقناع، للخروج من حالة الإنغلاق، وحالة الإستغراق فى الذات والمصالح الذاتية، إلى حالة التفتح والتنامى والإحساس بالمعنى الإنسانى الكبير، العدالة، الإنصاف، الحق، الخير، الجمال.

يعكس هذا الوضع ما طرحه تقرير " نادى روما " عام 1979 تحت عنوان " من المهد إلى اللحد " حيث تم إعلان أن " الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الإجتماعية والدولية ... وتشكل الهوية الثقافية على المستويين الوطنى والدولى واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، حيث يمكن أن تكون مصدراً من مصادر الصراع المتزايد فى داخل المجتمعات وبين مجتمع وآخر ... فنحن نواجه صراعا جديا فى مجال القيم ... ذلك لأنه لا يوجد جهد جاد لمحاولة فى الفهم ".[1] ويبرز هنا سؤال ملحّ، هل نفقد الثقة فى قدرة المجتمع الدولى على خلق حوار حضارى؟ الإجابة، لا. لأنه فى عالمنا اليوم، عالم القرية الصغيرة بكل تقنياته التكنولوجية، والتى تجعل كل منا يرى ويعيش مع الآخر فى لمح البصر، عالم التعددية الثقافية، عالم وجهات النظر المختلفة، يصبح فهم القيم الثقافية، وتفعيل التواصل الثقافى مكونين ضروريين فى العلاقات بين الشعوب لكي ننتقل من حالة الصراع إلى واحة التعاون المشترك.

إن مفهوم مصر لثقافة السلام وحوار الثقافات ليس خيارا أو موقفا يمكن تأييده أو رفضه، لكنه حقيقة تاريخ، وحتمية حاضر، ومشروع مستقبل، وأن الأديان جذورها واحدة، ما يجمع بينها أكثر مما يفرّق، وهي جميعا تدعو إلى السلام والمحبة والإخاء، وذاكرة التاريخ القديم والحديث تؤكد لنا أن الحروب قامت بسبب صراع المصالح.

إذا كانت هناك آراء مشِّوهة للحقائق ـ لعالمنا العربى ـ فإنه من الضرورى أن نفتح قنوات اتصال مع الآخر لكي نصحح المفاهيم ونوضّح الحقيقة،

[1] المهدى المنجرة: حوار التواصل، وكالة شراع، المغرب، 1997، ص 38.

إنه دورنا ومن الضرورى أن نلعبه، ولا ننتظر من أحد غيرنا أن يؤدى ما يجب علينا فعله، إن الثقافة العربية والإسلامية عليها أن تصحّح المفاهيم بلغة الغرب، لغة الآخر، لغة تحمل فى طيّاتها العقلانية والمنطق والبرهان من أحداث ومواقف التاريخ، لغة تسلك فى تحليلها النهج العلمى فى الرد على الأفكار والآراء والآساطير المغلوطة، وهو دور واجب للمؤسسات، وللأفراد فالمسؤولية جماعية.

علينا أن نقدم للعالم نماذج حقيقية تعكس روح حضارتنا، روح العدل، روح التسامح، روح الحق، وفى إسلام سمرقند الدليل على ذلك، وسمرقند مدينة من مدن جنوب بحر قزوين, والبلدان التى فى جنوب بحر قزوين كانت ضمن الاتحاد السوفيتي الذى تفكك, وبقى فيه مجموعات إسلامية مستقلة، سمرقند مدينة مهمة فى هذه المنطقة، كان المسلمون يزحفون على تلك المناطق بعد فتح فارس وكانت هزيمتهم على يد سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية، وزحفت الجيوش وحاصروا سمرقند, وإذا بها تصمد قلعة منيعة, تأبى أن ترفع الراية البيضاء، قاومت ولمدة طويلة, واستعصى على القوات أن تفتحها، وكانت النتيجة جلسة حول " مائـدة المفاوضات "، ثم اتفقوا على أن تدخل جيوش المسلمين المدينة يوم الجمعة، ويصلوا فيها صلاة الجمعة، ويتناولوا طعام الغداء ثم يغادروا المدينة، لكن ما حدث أن الجيش الإسلامى بعد الغداء رفض أن يغادر المدينة, وقالوا: الحرب خدعة. غضب أهل سمرقند وشكلوا وفدا فيما بينهم، يشتكون القائد والجيش، وذهب الوفد إلى الخليفة فى دمشق، وكان ذلك فى أيام عمر بن عبد العزيز والذي لقب بخامس الخلفاء الراشدين لعدله وورعه، فقال لهم: لماذا حضرتم هنا؟ أرجو أن تذهبوا قاض الحملة

فى الجيش وتعرضوا عليه الأمر ـ حيث كان فى كل جيوش المسلمين قاضى يحكم فى كل الأمور التى بها منازعات ـ ورجع الوفد إلى سمرقند، وتم عرض الموضوع على قاضى الحملة، وأحضر القاضى قائد الجيش، وحكى كل طرف حكايته، وبعد الإستماع والتحقق، حكم القاضى على القائد وجيش المسلمين بالخروج من البلد، ونفّذ الجميع هذا القرار على الفور. دهش أهل سمرقند مما حدث، وأخذوا يتناقشون حول هذا الدين وما به من عدل ونصرة للحق، وقررت سمرقند أن تدخل الإسلام.

علينا أيضا أن نستفيد مما كتبه الغرب عن فضل الحضارة العربية على العالم، لكى نرد على الإفتراءات التى يطلقونها علينا بنفس أقلامهم، فهناك أصحاب البصائر من علماء الغرب الذين قالوا كلمة حق وأنصفوا الإسلام، وأقروا بفضل العلماء العرب على التاريخ الإنسانى بتفوقهم فى علوم كثيرة كالطب والفلك والجبر والهندسة وغيرها، فها نحن نجد الدكتورة سيجريد هونكه فى كتابها " شمس الله على الغرب" الذى تقترب صفحاته من الخمسمائة صفحة تتحدث عن فضل العرب على أوروبا فى ميادين مختلفة منها الفلك فها هى تقول " إن السماء من فوقنا كانت ملعبا للفلكيين العرب يصولون ويجولون فيه... ويحققون من خلال ذلك أروع الاكتشافات العلمية، التى كانت المنطلق لكل علومنا المعاصرة"[1] ، وفى موضع آخر من الكتاب تقول عن الإسلام بعبارة تستعيرها من جوته " وجاء الحق الذى بلغه محمد، فبالتوحيد ساد العالم " [2]

[1] عبد التواب يوسف: الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، 1996، ص 81-82.
[2] نفسه ص 83.

إن حوار الثقافات فكرة حضارية، إنها المفتاح الحقيقي للتواصل بين الشعوب، إنها البوتقة التى سوف تنصهر فيها الأفكار لكي تخرج بروح جديدة، تسعى لخلق مفهوم ديمقراطى فى لغة الحوار، إن اللجوء إلى الحوار ليس مجرد خيار فكرى، إنها ضرورة يفرضها الواقع العالمى.

إن حوار الثقافات هو (طريق الحرير) الذي سوف تبنى من خلاله العلاقات السليمة، وهو الطريق الذي من خلاله تتزاوج الفنون والعلوم لكي تثمر مبتكرات جديدة فى مسيرة التاريخ الإنسانى. إن حوار الثقافات سوف يجعلنا نقتسم جماليات الحضارات بين بعضنا البعض، فى تعايش يتمتع بالحرية فى التحاور مع شعوب جميع الثقافات، واحترام تساؤلاتهم، واختلافاتهم، لتفعيل الحوار بين الجميع، إن ذلك خطوة فى الإتجاه الصحيح، خطوة نحو مستقبل أفضل.

الفصل السابع
شخصيات منيرة

العالم المستنير د.أحمد مستجير

د. أحمد مستجير العالم، الأديب، الإنسان، ماذا أقول عنه؟! ماذا أقول عن هذه الكتلة المنيرة ـ التى كانت وما تزال ـ تشع معرفة علمية وأدبية على المحيط الذي تحيا فيه لكي تطوره إلى الأفضل والأجمل، شخصية منيرة تشع إنسانية دافئة تحنو على الصغير والكبير، تتدفق تواضعا وخلقا رفيعا، كتلة منيرة تفيض بالحب والعطاء من أجل الوطن العزيز مصر.

ولكنى لم أجد أجمل ولا أدق من وصف لهذا الرجل، إلا كلمة قالها العالم الجليل د.محمود حافظ شيخ علماء مصر ورئيس مجمع الخالدين ـ مجمع اللغة العربية ـ فى استقباله كعضو جديد بالمجمع عام 1996 " عندما حان موعد الترشيح لعضوية المجمع لمع فى ذهنى اسم عالم من صفوة علمائنا برز فى مجال العلوم الزراعية وسطع نجمه فى السنوات الأخيرة من كثرة ما كتب وترجم فى علوم الوراثة وفروعها المستحدثة، وكذلك فى الأدب والشعر، هو العالم الموسوعى الأستاذ الدكتور أحمد مستجير...وإنى على يقين أيها الزميل العزيز أنك سعيد حقا بهذه الثقة الغالية التى منحك إياها زملاء لك هم صفوة من جهابذة الفكر والعلم واللغة يقدرون علمك وخبرتك ومكانتك، .. ولست فى حاجة إلى ترداد القول إن المكانة التى تتبؤها اليوم وأنت بها جدير لمكانة رفيعة حقا طالما

اشرأبت إليها أعناق وتطاولت رؤوس...فأهنئك تهنئة خالصة عضوا بين سدنة اللغة وحماتها فى مجمع الخالدين"[1]

حياة د.أحمد مستجير رحلة معرفية، رحلة عطاء مصرية أصيلة، ولد أحمد مستجير فى عام 1934 بقرية الصلاحات - محافظة الدقهلية - وفي المرحلة الثانوية اهتم بكتب البيولوجي؛ لأنه أحب مُدرسها "خليل أفندي" الذي تخرج في كلية الزراعة ـ إن المعلم قيمة كبرى فى إعداد جيل المستقبل ـ فأحب أن يلتحق بنفس الكلية، وفى دراسته الجامعية افتتن بأستاذه في الكلية عبد الحليم الطوبجي أستاذ علم الوراثة، فسلك ذات التخصص، وبلغت ثقة "الطوبجي" في ذلك "الطالب" أنه لما احتاج أن يكتب مذكرة للطلاب ولم يكن وقته يسمح بذلك أعطى الطلاب ما كتبه طالبه النجيب في المحاضرات! وبعد تخرجه فى كلية الزاعة عام 1954 عمل خبيرا زراعيا بوزارة العدل ثم التحق بالمركز القومي للبحوث ليحصل على الماجستير في تربية الدواجن من كلية الزراعة جامعة القاهرة وعمل معيدا بنفس الكلية، وفي هذه الفترة عرف من خلال قراءاته "آلان روبرتسون" أستاذ علم الوراثة البريطاني، فراسله وطلب منه مساعدته للالتحاق بمعهد الوراثة جامعة أدنبرة باسكتلندا، وقد كان، وحصل على دبلوم وراثة الحيوان عام 1961 بامتياز، وكانت المرة الأولى في تاريخ المعهد أن يحصل طالب على هذا التقدير.. ثم بدأ العمل للدكتوراه مع أستاذه "ألان روبرتسون"، وعنه يقول: "كان ألان فى الحق هو الأذكى. كان أذكى من قابلت في حياتين ...كان متواضعا للغاية،

[1] د. محمود حافظ: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثامن والسبعون، مايو 1996، ص 168.

إنسانا"[1] إنه مثال لرجل العلم الحق، وبعد حصوله على الدكتوراه عام 1963 وعودته إلى وطنه لم تنقطع صلته بأستاذه، حيث كان يتلقى منه في كل عيد بطاقة تهنئة بخطه الجميل، إلى أن توفي. كان بيت د. أحمد مستجير في أدنبره يطلق عليه " بيت العمدة " العمدة الذي يعرف البلدة، والعمدة الكريم المضياف، كل من ذهب إلى أدنبره في وجود د. مستجير كان يجد كل العون والمساعدة والحب والتقدير حتى يستكشف المكان ويرتب حاجياته على خير وجه، ورغم أن القليل من هؤلاء الزوار قد إستخدموا هذه العمدية إستخداما خاطئا فى بعض المواقف، رغم هذا لم يمتنع مستجير عن تقديم خدماته إلى الآخرين عن حب وعن طيب خاطر وعشقا للوطن. إنه الإنسان أحمد مستجير.

إسهامات علمية كثيرة للعالم أحمد مستجير صاحب مدرسة فى علم الوراثة، عشرات الأبحاث فى هذا العلم، إشراف على رسائل الماجستير والدكتوراة، مؤتمرات كثيرة، ولكن ما كان حريصا عليه ومنتهى أمله أن يقوم العلم بدوره الحقيقي في إنقاذ أرواح ملايين البشر، وتوفير الغذاء لمن يموتون جوعا، فجاهد في تطوير مفهوم الزراعة واستنباط أنواع جديدة من المحاصيل والإنتاج الحيواني فأسس مركز علوم الوراثة وأصبح رائد علم الهندسة الوراثية في مصر والعالم العربي. إن د.مستجير يرى أن البيوتكنولوجيا تستطيع إسعاد الفقراء، فهي تتضمن زراعة الأنسجة ودمج الخلايا والهندسة الوراثية وباستخدامها يمكن إنتاج نبات مقاوم للأمراض أو مقاوم للملوحة أو متميز بمحصول وفير، " البيوتكنولوجيا الحديثة هى استخدام الحيوانات والنباتات والفطريات

[1] د. أحمد مستجير: قرأءة فى كتابنا الوراثى، سلسلة اقرأ، دار المعارف، 1999، ص 17.

والبكتيري والفيروسات -كاملة أو أجزاء منها- لإنتاج مواد نافعة يحتاجها الإنسان، كالطعام والدواء والكساء والكيماويات أو فى تحسن كائنات حية موجودة "[1] ونظرا لأن البشر يعتمدون في غذائهم على القمح والأرز، من هنا بدأ د.مستجير في استنباط سلالات من القمح والأرز تتحمل الملوحة والجفاف لأنه يتبنى التكنولوجيات التي تصلح لحل مشاكلنا الخاصة ببلادنا، فلو عرفنا الاستغلال الأمثل لمياه البحر في الري، لتمكنا من إنتاج أصناف من المحاصيل الزراعية التي تتحمل الملوحة والجفاف، وتبرز أهمية هذه التجربة بعد قيام بعض الشركات بإنتاج بذور عقيمة صالحة للإنتاج، ولكن لا تصلح للاستنبات مرة أخرى، وهو ما يحرم الفلاح من حقه الأزلي في الاحتفاظ بكمية من البذور لزرعها في الموسم القادم، ويجعل هذه الشركات تتحكم في المستقبل الغذائي للبشرية، وقد أطلق عليها هذه البذور "بذور الشيطان" محذرا من خطرها على زراعتنا واقتصادنا ...كان يحلم د.مستجير بإنشاء مركزا للهندسة الوراثية، هذا العلم المستقبلى، وكان بحاجة إلى 8 مليون جنيه، لم يتمكن من تدبير المبلغ، هل يمكن لتلميذ من تلامذته أن يحول المشروع إلى حقيقة واقعة، العالم يتقدم من حولنا، ويجب أن نضع أولوية للعلم، وإذا كانت الدولة لديها أعباء، فأين دور المجتمع المدنى فى تطوير المجتمع أين الشركات التى تكسب الملايين والملايين، أليس هناك رؤية ونية للصرف على المشروعات العلمية مثل مؤسسات المجتمع الغربى التى تساهم فى تطوير الجامعات وبناء المراكز البحثية وتقديم المنح الدراسية للطلبة النابهين. كان يؤمن د. مستجير بقيمة علماء مصر ولكنه كان يقول نريد خطة عامة

[1] د. أحمد مستجير: قراءة في كتابنا الوراثى، سلسلة اقرأ، دار المعارف، 1999، ص 108.

للعلم محددة بأهداف واضحة، وعلينا أن نسير فى طريق الإنجاز، ونحن قادرون.

إسهامات أدبية فى حياة ذلك العالم لقد كتب أول مرة في حياته قصيدة من الشعر الحر بعنوان "غدا نلتقي"، وله أيضاً ديوانان الأول " عزف نای قديم" و "هل ترجع أسراب البط" ومن دراساته التطبيقية النقدية في بحور الشعر أوجد علاقة بين الأرقام وبحور الشعر العربي وهى إضافة جديدة حيث إستخدم علوم الكومبيوتر فى الكشف عما إذا كان البيت الشعرى مكسورا أم لا، وبالفعل كتب دراسة حاول إخضاع البحور للأرقام وكللت الدراسة بالنجاح وكانت النتيجة كتاب عنوانه "مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربي" عام 1988، كم أن د.مستجير له أكثر من 25 كتابا مترجما فى العلوم والفلسفة، منها "صراع العلم والمجتمع" "صناعة الحياة" "التطور الحضارى للإنسان" "الهندسة الوراثية للجميع" " "في بحور العلم" "علم اسمه السعادة" ويقول د.مستجير خلاصة تجربته فى علم السعادة وهى الحب ، حب الناس، حب العطاء، لأن الحب هو القادر على البناء فى أكاديمية البنائين المصرية.

لقد شغل د.مستجير عضوية عدد من الهيئات المصرية منها الجمعية المصرية لعلوم الانتاج الحيواني واتحاد الكتاب والجمعية المصرية للنقد الادبي ومجمع اللغة العربية المعروف بمجمع الخالدين كما كان مقرراً لقطاع الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية بالمجلس الاعلى للجامعات، وحصل عن جهوده في علوم الوراثة على معظم الجوائز المصرية وهي جائزة الدولة التشجيعية للعلوم الزراعية عام 1974، ووسام العلوم

والفنون من الطبقة الاولى في العام نفسه وجائزة الابداع العلمي عام 1995، وجائزة الدولة التقديرية للعلوم الزراعية عام 1996 ونال عام 2001 جائزة مبارك للعلوم التكنولوجية المتقدمة وهي أرفع الجوائز في البلاد. د. أحمد مستجير لم يرحل عنا فهو معنا بروحه النسيمية، وأفكاره المنيرة، وعلمه الذي ينتفع به، أسكنك الله فسيح جناته أيها العالم الجليل.

د.مستجير السعادة والعمل وقيم التقدم

سعادة العالم الجليل د. أحمد مستجير (1934-2006) الباحث عن الأفضل، والباحث عن الأنفع، والباحث عن الأجمل، كان لا يكف عن محاولة الإرتقاء بالجوانب العلمية داخل حجرات العلم، وأيضا لا يكف عن التنقيب فى المكتبات العالمية عن كتاب يفيد به القارئ لكي يطور من قدراته، ومن هذه الكتب كتاب رشيد وهو بعنوان "علم اسمه السعادة " ويتعرض فى هذا الكتاب مجموعة من الآراء حول مفهوم السعادة.

التعريفات للسعادة كثيرة ومتنوعة بتنوع الناس طبقا لمعتقداتهم وطبقا لأزمانهم وأماكنهم ولكن يمكن القول بأن السعادة هى احساس بالغبطة الحقيقية الطويلة الأمد وهي درجة من رضا الفرد عن نفسه وعن حياته. السعادة ليست بضع لحظات هانئة نقضها قبل ان نعود للحياه القاسية فالسعادة لا تروح وتجئ فالسعادة باقية بغض النظر عن الانفعالات اللحظية. كلنا ينشد السعادة فهى هدف نسعى اليها جميعا، كل انسان أيا كانت ثقافته أو عمره يريد أن يصبح سعيدا.

تتباين أهدافنا لبلوغ السعادة، التعليم الأفضل، الصحة الجيدة، الوظيفة فى الحياه، الحبيب فى الحياه، لكن المال هو أكثر الأهداف التى نطلبها فى بحثنا عن السعادة فمعظمنا يعتقد فى داخله أن المال اذا كان منه ما يكفى

سيحل كل المشاكل، لكن البحوث المتأنية فى طبيعة السعادة أثبتت أن السعادة لا ترتبط كثيرا بالمال ـ لأن المال وسيلة وليس غاية فى حد ذاته ـ أو غيره من العوامل الخارجية، وإنما تعتمد على صفة داخلية تسمح للناس باكتشاف السعادة و التمتع بها بغض النظر عن الظروف الخارجية – طالما كانت هذه الظروف مقبولة – كانت أفضل دراسة عن تلك القضية التى تمت فى أواخر ثمانينات القرن العشرين عندما أجرى باحث على سبعين ألف شخص فى ست عشر دولة صناعية باستخدام استمارات استبيان اتضح أن مستوى السعادة لا يتأثر بدخل الفرد، فمثلا يبلغ دخل الألمانى نحو ضعف دخل الأيرلندي لكن الأيرلنديين كانوا أسعد، و كان البلجيكيون أسعد من جيرانهم الفرنسيين الأغنياء، أما اليابانيون وهم من بين أثرى شعوب العالم فكانوا من بين الدول الأقل سعادة، ويذكر بحث أجرى فى الينوى عام 1993 أن الأفراد الأثرياء يكونون فى المتوسط أسعد إنما بفارق ضئيل جدا فقد أثبتت بحوث أخرى أجريت بعد ذلك صحة هذه النتيجة : اذا ما توفرت للفرد متطلباته الأساسية (الملبس و المأكل و المسكن و الصحة) فان أى إضافة للدخل لا تضيف الى السعادة الا القليل جدا، نستطيع القول أن السعادة تنبع من تفاعل مستمر بين بيئة الفرد (عمله، صحته، نشأته، علاقاته) و بين مزاجه الشخصى، (ميله الفطرى الى التفاؤل أو التشاؤم، بشاشته أو صرامته، انطوائية أو انبساطية)، كما ان العوامل الداخلية للفرد تشكل واقع حياته.[1]

النقطة المرصودة لسعادة أى فرد هى متوسط كل المزاجات التى يخبرها الفرد فى فترة معينة من الزمن، والمزاج يخضع للوراثة كما أنه ثابت

[1] د. أحمد مستجير: علم اسمه السعادة، سلسلة اقرأ، دار المعارف، 2002، ص 12-16.

على المدى الطويل وأنه يؤثر في السعادة، فقد تدفع تصاريف الحياة الناس مؤقتا إلى البهجة أو إلى الاكتئاب لكنهم يعودون بسرعة الى مزاجهم الطبيعى.

هناك من يرى أن العوامل الثقافية والتاريخية تلعب هى الأخرى دورا محسوسا بجانب العوامل الوراثية. فإنتشار الثقافة بحيث تصبح ممتزجة مع ثقافة الناس يعطى إحساساً بالرقى والمتعة والسعادة لأن الإنسان يترقى فكره وتترقى مشاعره بمفردات الثقافة من كلمة ونغمة وحركة ولون يجعل من الحياة عمل فنيا ممتعا. تقول بعض الدراسات إن أفضل مقياس للسعادة هو إجابة السؤال: ما مدى رضائك عن الحياة فى مجملها؟ أتقول إنك راض جدا أم راض الى حد معقول أم لست راضيا الرضاء الكامل أم غير راض على الإطلاق؟ إن بحث أجرى عام 1998 يذكر أن 65% من الدانمركيين وصفوا أنفسهم بأنهم راضون جدا بينما بلغت نسبة من وصفوا أنفسهم بأنهم غير راضين 5% فى البرتغال، وفى السويد نسبة الراضين عن أنفسهم 55%، ولكن يبدو أن مثل هذه الأرقام تعكس التجارب التاريخية للمجتمعات أى أنها خصائص ثابتة نسبياً للمجتمعات، وأيضا يلعب مستوى التنمية الاقتصادية فى الدولة أثراً هاماً على سعادة الناس، وعلى الوجه الآخر ليست التنمية الإقتصادية بالعامل الوحيد لسعادة الشعوب فهناك شواهد تعضد نظرية تقول إن مستوى سعادة المجتمع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإزدهار الديمقراطية، وإرتفاع مستوى الحقوق السياسية والحريات المدنية، لكن الأمر ليس بهذه البساطة فلم ترتفع سعادة الشعب الروسى مع الإنتخابات عام 1991 بل إنها انخفضت، ومن ناحية أخرى نجد أن الصين تحركت نحو إقتصاديات

السوق دون ان تغير نظامها السياسى ورغم ذلك فإن مستويات السعادة فيها أفضل من بعض الديمقراطيات.

وإن تعددت أسباب الوصول للسعادة، إلا أنه يمكن القول بوجود عنصر هام وجوهري للوصول إليها، بمثابة الركن الأساسى فى منظومة الحياة، إنه العمل، نعم العمل، العمل يجعل للإنسان قيمة ويشعر الإنسان من خلاله أنه ينتج، ويبنى ويشيد وبالتالي يرتقي بنفسه ويرتقى بأسرته ويرتقى بمجتمعه، ويمكن أن يكون لهذا العمل إتساع فى الدائرة من المحيط الخاص والعام إلى الإرتقاء بالمحيط الإنسانى أى الإنسانية جمعاء.

العمل ليس وقاية من الملل، العمل يصنع إستثمارا مفيدا للوقت مما يساعد على زيادة الدخل، العمل يصنع فرصا للنجاح، ويخلق مجالات للطموح نحو الأفضل، ودائما يرغب الناس فى أن يزيدوا دخلهم مثل رغبتهم فى النجاح، لأن الدخل الأعلى سوف يوفر لهم قسطا من الراحة.

يقول "برتراند راسل" (1872-1970): "معظم نوعيات العمل توفر ميزة قتل الوقت وتوفر منفذا ـ مهما كان متواضعا ـ للطموح وتكون كافيه لجعل حتى الشخص الذي يعتبر عمله كئيبا أسعد فى المتوسط من الشخص الذي بلا عمل على الإطلاق، ولكن عندما يكون العمل مشوقا يكون بمقدوره أن يمنح الإشباع بدرجة أعلى جداً من مجرد تفريج الملل

... هناك عنصران رئيسيان يجعلان العمل مشوقا: الأول ممارسة المهارة والثانى التشييد "[1]

نعم إن المهارة فى العمل بعدا ضروريا لكى نتقن ما نصنع ولكى نستمتع فى نفس الوقت بالعمل الذى نقوم به، فالمهارة التى يكتسبها الشخص الذى يقوم بالعمل تجعل عمله ذو حرفية بارعة وتجعله مميزا وتجعله متفوقا على أقرانه وكذلك الصناعات والأعمال الأخرى، فمهارة العامل فى صناعة الأخشاب، ومهارة الأديب فى إستخدام اللغة، ومهارة الطبيب فى إجراء العمليات الجراحية، كلها أشياء ترتقى بقيمة العمل الذى نقوم به على إختلاف أنواعه، وهو أيضا يعطى الإحساس بالمتعة والسعادة، كما لا يمكن أن نتناسى أن المهارة يجب أن تتطور طبقا لمتغيرات العمل وظروفه الجديدة لأن هذه الظروف الجديدة تحتاج إلى مهارات مغايرة وذلك حتى يستطيع الإنسان الإستمرار فى التحسن إلى الأفضل، فاليوم لا يكفى للشباب أن يحصل على الدرجة العلمية فى تخصص ما وإنما على الشباب أن يتقن مهارات هذا التخصص بالإضافة إلى مهارات آخرى ليست مكملة وإنما هى أساسية فى تعلم لغة الكومبيوتر الذى يفتح آفاقا جديدة فى التعرف على تخصصه الدقيق وأيضا لكى يتمكن من متابعة أحدث النظريات أو الأبحاث أو المشروعات فى تخصصه، وأيضا معرفة اللغات التى نطل من خلالها على الشعوب والثقافات الآخرى.

والعنصر الثاني الذي يجعل العمل ممتعا ويمنح الإنسان السعادة هو التشييد، والتشييد هو البناء والعمران، والتشييد يقصد به البناء المادى

[1] برتراند راسل: انتصار السعادة، ترجمة محمد قدرى عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة 409، 2002، ص 230.

وأيضا البناء المعنوى فمشروع بناء مستشفى أو متحف أو مدرسة أو مكتبة أو نشر ثقافة العمل التطوعى، تطوير مهارات اللغات، تنمية القدرات البشرية فى المشاركة وغيرها مشروعات تشييد لتقدم المجتمع، لتقدم الأمة، فالبناء مصدر عظيم للسعادة، إنه تحويل الأرض الجرداء إلى حقول مزهرة ومثمرة وما أصدق قول الشاعر في هذا المقام:

وإذا تمنيت الحياة كبيرة بلغتها بكبيرة الأعمال

لقد إستطاعت اليابان والهند والصين وماليزيا وسنغافورة وغيرها من الدول أن تصل إلى إسعاد شعوبها بفهم وإدراك قيمة احترام العمل المتقن، العمل الجاد، العمل فى قمة فلسفته كبناء للحياة فى أجمل صورة متقدمة وحضارية.

نجيب محفوظ قمة مصرية

الأديب المصري العالمي نجيب محفوظ (1911-2006) ولد بحى سيدنا الحسين، ورحل إلى مثواه الآخير من جامع الإمام الحسين، قمة مصرية، وأصالة مصرية عريقة، ماذا أقول عنه؟ إن حياته ثرية مليئة بالإنجازات الكبيرة فى مسيرة هذا الوطن العزيز مصر، روايات، قصص، سيناريوهات، أفلام، مسرحيات، مقالات، أحاديث، زخم معرفى مستنير، فيضان عطاء إعتمد على قيم التقدم: إتقان العمل، النظام، إحترام الآخر، المشاركة، التواضع، الحب...نجيب محفوظ رمز من رموز الثقافة المصرية والعربية والعالمية ومن هنا فهو قمة لأنه غير فى صفحة تاريخ الأدب العربى وكتب فيه بابا يسمى "باب الرواية العربية "، وتؤكد ذلك نادين جورديمر والحاصلة على جائزة نوبل فى الأدب عام 1991 تقول " إن نجيب محفوظ من أعظم المواهب الخلاقة فى فن الرواية "

إستيقظت ذات صباح فى عام 1988 بمدينة ليدز Leeds بإنجلترا ـ حيث كنت طالبا لدراسة الدكتوراه ـ على خبر عملاق مدهش وهو حصول الأديب المصرى الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل فى الأدب، وفور وصولى للجامعة كان الزملاء من الجنسيات المختلفة، وكذلك الأساتذة الإنجليز يهنئوننى بأسلوب فيه تقدير وإحترام لحصول محفوظ على الجائزة، ليس هذا فقط وإنما كتبت الصحافة الإنجليزية بأن نجيب محفوظ يقف فى مصاف كتاب آخرين مثل تشارلز ديكنز، وبرنارد شو، وتولستوى، وإبسن، جابرييل جارسيا ماركيث وغيرهم، كنت فى

غاية السعادة أن يحصل مصرى عربى على جائزة نوبل فى الأدب لأول مرة فى تاريخ الجائزة، إنها إنطلاقة كبيرة، لكن هذا ليس بغريب على نجيب محفوظ أن يحصل على هذه الجائزة الهامة فى تاريخ الحياة الأدبية والعلمية لأنه قامة كبيرة، وهنا قلت الحمد لله، المصرى دائما قادرعلى تجاوز الحدود، ومنذ تلك اللحظة والأدب المصرى والعربى تجاوز الحدود، وأصبح يحلق فى الآفاق العالمية، وفتح بذلك نجيب محفوظ الأبواب المغلقة لكى نطل على العالم، ويطل العالم علينا بلغاته المختلفة من نافذة نجيب محفوظ.

"ويقول الناقد الفرنسى دانييل ريج إنه حتى عام 1970 كان الفرنسيون لا يعرفون محفوظ قط، في نفس الوقت الذي وصل فيه إلى قمة مجده وشهرته فى وطنه العربى، وفى تلك السنة ترجمت روايته " زقاق المدق" إلى اللغة الفرنسية، وأحس القارئ الفرنسي أنه أمام كاتب من طراز فيكتور هيجو وبلزاك وفلوبير"[1] ، وهذا لأن نجيب محفوظ كاتب يبدع بوجدانه وعقله ويتنفس عصره ومجتمعه ويعتصره فى أعماله القصصية والروائية. وهنا وقفة للتأمل حيث نستشف أن اللغة العربية كانت تمثل حاجزا بين محفوظ وقراء الغرب وذلك لأن المترجمين لم يهتموا كثيرا بترجمة هذه الأعمال الأدبية إلى لغاتهم وخاصة أن روايات محفوظ ضخمة الحجم، تجعل الناشرين والمترجمين فى حالة تردد من الإقبال عليها، إن ذلك مؤشر واضح لأنه من الضرورى أن نقدم أنفسنا للآخر، لا ننتظر أن يقبل علينا، أو أن نترك الأمور للمصادفة، مثلما يوجد مشروع للترجمة من الغرب إلى العربية وبشكل مكثف، فى المقابل من المهم

[1] محمود قاسم: موسوعة جائزة نوبل فى القرن العشرين، دار ومطابع المستقبل، 2000، ص 476.

وجود مشروع مماثل منظم وهو أن نترجم أعمال كتابنا ومفكرينا وفنانينا فى المجالات المختلفة إلى الآخر لكى يعرف الآخر عنا صورة متكاملة، ليست منقوصة، صورة حقيقية تكون رؤية موضوعية، لكى يدرك الآخر مع من يتعامل، ومن هنا نصنع جسورا للتواصل الإنسانى، إن الترجمة لعبت دورا هاما منذ فجر التاريخ فى التطور الحضارى، وهى قادرة على أن تلعب دورا أكثر نضجا فى ظل الثورة المعرفية التكنولوجية.

الفيلسوف الحكيم نجيب محفوظ يقول "حينما أتذكر طفولتي البسيطة وأنا اجري خلف عربة الرش في حي الحسين، ثم اسمع اسمي في الصحف ومحطات التلفزيون العالمية، يحدث ذلك في نفسي عجبا ودهشة. ولكن حينما أتذكر أنني احتفلت بعيد ميلادي السابع والسبعين، سنة حصولي على نوبل، منذ أيام تتساوي في نفسي كل كنوز الدنيا."[1] تنطلق دلالات منيرة من هذه المقولة التى قد تبدو بسيطة بينما هى فى غاية العمق الفلسفى: عالم الأرابيسك، روح الشرق، تواشيح روحانية، مصر العتيقة، تعددية ثقافية، من جد وجد، من المحلية إلى العالمية، الزهد فى الزخرف وقيمة العمل باقية.

حينما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل سعد بها ولكنه قال " كان لى أساتذة أحق بها منى وهم طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم" إنه إعتراف بالفضل لأساتذة تعلم منهم فى سلوكيات حياتهم وفى إبداعاتهم الأدبية، إنه يعترف بالجميل، إنها الأصالة ويقول نجيب محفوظ عن توفيق الحكيم " لقد تأثرت بتوفيق الحكيم... هذا الكاتب الكبير يقف وراء

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ...سيرة حياة كاملة، نفرو للنشر والتوزيع، 2006، ص 11.

جيلنا كله من الناحية الفنية كان الحكيم ولازال النهر الدفاق الذي تتفرع عنه جداول كثيرة في الرواية والقصة والمسرحية. لقد تتلمذت عليه أثره في حياتي فوق ما تتصور ولولا توفيق الحكيم ما أصبحت أدبياً كنت أدرس الفلسفة وأعتبر الأدب على ما سبق حياتي ولما دخل الحكيم من بوابة الأدب عرفنا قيمة الأدب وكيف أنه يكرم الإنسان... " [1] وهكذا يقول عن مسرحية "أهل الكهف " وكانت تمثل شيئاً جديداً ورائعاً بحيث اعتبرتها بداية جديدة للفن الأدبي العربي. كان تأثيرها كبيرا جداً نتيجتها الأساسية الزمن ونقده لم يفارقني حتى " أنها " أحسن ما قرأت له لكن أنا أعتبر روحي خرجت من " عودة الروح "[2]

وقبل تسلم جائزة نوبل كان هناك مزايدات على أهمية الجائزة، وشرعيتها، وكيفية حصول نجيب محفوظ عليها، وفى هذه الفترة حضرت بعض الجهات إلى نجيب محفوظ يعرضون عليه ضرورة رفض الجائزة لأنها من المجتمع الغربى الذى يجب ألا نتعامل معه، وهم سوف يعطونه القيمة المالية التى يريدها والتى ستكون أكبر من الجائزة، وهنا وقف نجيب محفوظ وقفة صلبة ـ بلا تردد ـ ورفض هذا العرض المغرى، لأنه وطنى، ولأنه صاحب مبدأ، لم يتغير عن موقفه، ولم يتلون مع الموجات المتلونه، وقال قولا شهيرا لهؤلاء " الآن أنا لا أملك الرفض لأن الجائزة ملك لمصر وللعالم العربى "، نعم هذه حقيقة يؤكدها فى كلمته التى قيلت بمناسبة تسليم الجائزة لإبنتيه فى الإحتفال بالسويد " أنا ابن حضارتين الأولى الحضارة الفرعونية وهى منذ سبعة آلاف سنة، والثانية الحضارة

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ..سيرة ذاتية، المجلس القومى للشباب، السلسلة الثقافية للطلائع، يناير 2006، ص 60.
[2] المرجع السابق، ص 61.

العربية وعمرها ألف وربعمائة سنة" ابن الحضارتين تربى على القيم النبيلة التى تسمو على الصغائر، وتسير فى طريقها تعلم الناس بالأفعال والأقوال، لقد كرمته مصر بحصولة أيضا على " قلادة النيل " أرفع الأوسمة المصرية.

موقف نبيل يضاف إلى قيم نجيب محفوظ لقد قسم مبلغ جائزة نوبل على أهل بيته، وأخذ نصيبه الشخصى وتبرع به إلى " بريد الأهرام" لمساعدة المحتاجين، إنها المشاركة المجتمعية التى تسعى للإرتقاء بالمجتمع نحو الأفضل، عاش نجيب محفوظ مع الناس وبعدسته الفاحصة والراصده يتأملهم، ويكتب عنهم، آمالهم أحلامهم طموحاتهم، كل ذلك من واقع الحياة، أعمال نجيب محفوظ ملتزمة بالقضايا الإجتماعية والسياسية بأسلوب فنى جذاب، يشرح ويحلل الواقع بكل شخصياته بأبعادها النفسية والإجتماعية والجسدية، شاهدا بها على تطور التاريخ المصرى خلال القرن العشرين، هكذا نجد نجيب محفوظ شاهدا على عصره، رادوبيس، كفاح طيبة، بين القصرين، قصر الشوق، السكرية، ثرثرة فوق النيل، خان الخليلى، اللص والكلاب، ميرامار، الكرنك، الحرافيش، السراب، القاهرة الجديدة، أهل القمة، الحب فوق هضبة الهرم، أصداء السيرة الذاتية، أحلام فترة النقاهه...تحولات ومنحنيات متعددة ثورة 1919، مجتمع ما قبل ثورة 1952، ثورة 1952، مراكز القوى، نكسة 1967، إنتصار 1973، الإنفتاح الإقتصادى، حرية التعبير...يقول نجيب محفوظ " إن على الكاتب أن يجد إيقاعه العميق... وأيضا عليه أن يبحث عن الشكل المناسب لأدبنا الذى نستوحيه من مجتمعنا المحلى. " لهذا محفوظ إنطلق إلى العالمية من قمة المحلية، إن الحارة المصرية فى أدب محفوظ

لا تمثل الحارة فقط وإنما هى تمثل فى معنى آخر المجتمع كله، وفى مستوى آخر العالم بأسره بكل شخوصه وقيمة ومتغيراته، إنها الرمزية التى تنطلق من الواقع، لقد أقام نجيب محفوظ حياته على الحب، حب العمل، حب الناس، حب الحياة، وأخيرا حب الموت للعودة إلى خالقه، رحم الله نجيب محفوظ رحمة واسعة.

نجيب محفوظ والأساتذة

الأستاذية معرفة ورؤية، الأستاذية إتساق بين السلوك والعمل، الأستاذية إحترام للآخر، الأستاذية إعتراف بالجميل، الأستاذية تفرد فى العطاء، الأستاذية مبادرات تبنى مشروعات حضارية، الأستاذية حب وعشق للوطن، الأستاذية شمس يستضاء بها، الأستاذية منهج حياة، هكذا تتجلى هذه المعانى فى نجيب محفوظ وفى شخصيات آخرى يتحدث عنها الأديب الكبير فى كتاب شيق بعنوان " أساتذتى "[1] من إعداد إبراهيم عبد العزيز الذى يحاول دائما أن يقترب من الجوانب الإنسانية فى الشخصيات التى يكتب عنها، وهذا جانب متميز وهام فى مسيرة الشخصيات التى أثرت فى مجتمعها، ويمكن أن يكون لها بعدا تنمويا للأجيال القادمة، لكى تحمل مشعل التنوير لمستقبل أفضل.

ومن الشخصيات التى تعرف عليها الأستاذ الأديب نجيب محفوظ، المبدع يحيى حقى (1905-1992) صاحب " خليها على الله" و " أم العواجز" و "ناس فى الظل" و "دماء وطين" و" البوسطجى" و "صح النوم" والثرية " قنديل أم هاشم " حينما قرأها محفوظ سنة 1945، لفت إنتباهه قوة الفكرة وجمال اللغة ورشاقة الأسلوب ـ كان يحيى حقى يكتب قبل ذلك التاريخ، فهو من مؤسسى القصة القصيرة فى مصر والعالم العربى ـ وسأل عنه الأستاذ فعرف أنه يعمل فى السلك الدبلوماسى، أما اتصاله به وإقترابه منه فقد كان فى نادى القصة الذى كان يعتبر صالونا ثقافيا

[1] ابراهيم عبد العزيز: أساتذتى، ميريت، 2002.

للأدباء يتناقشون ويتحاورون فيه حول أعمالهم الأدبية وكذلك الأعمال العالمية، أما الاقتراب من الأستاذ يحيى حقى أكثر فقد كان فى الفترة التى أنشأ فيها فتحى رضوان وزير الارشاد، مصلحة الفنون (1955-1959) وكان يحيى حقى أول وآخر من تولاها كمدير لها، حيث كان له مساعدان هما نجيب محفوظ وأحمد باكثير. ارتبط الأديب الكبير نجيب محفوظ بالأديب يحيى حقى منذ ذلك الحين، حيث عمل مديرا لمكتبه، وقد لمس فيه البساطة والإحترام والرؤى التقدمية والاستنارة، وحين فاز نجيب محفوظ بجائزة نوبل أهدى جائزته ليحيى حقى كواحد من المبدعين المصريين الذين يستحقونها، ولعمق التقدير والإحترام كان كل منهما يهدى كتبه للأخر، وعلى قلة ما ابدع يحيى حقى فان آثاره مرشحة للبقاء والخلود، وعلى الرغم من ذلك كانت الصداقة بينهما لا تمنع يحيى حقى من نقد أعمال نجيب محفوظ بالايجاب أو بالسلب، وكان نجيب محفوظ بدوره يتفهم ذلك تماما دون ضجر، لأنه يدرك معنى النقد الموضوعى الذى يساعد على التطور والرقى، وحينما توفى يحيى حقى حزن نجيب محفوظ على وفاته فقد كان له صديقا لا يعوض، صديقا نزيه الفكر، صافى القلب بسيطا ممتعا فى أحاديثه وفى كتاباته صاحب روح ساخرة ونكتة بارعة وفكر مستنير.

أما توفيق الحكيم (1898-1987) صاحب "عودة الروح" و "عصفور من الشرق" و " تحت شمس الفكر" و " الطعام لكل فم" و "عدالة وفن" و "التعادلية " و " عودة الوعى" وغيرها من الدرر، فكان له فضل كبير فى تحويل مسار حياته ومسار حياة جيله فى الإرتباط بالفن والأدب يقول نجيب محفوظ " أذكر أنني عرفت توفيق الحكيم عن طريق مقالتين،

واحده لطه حسين والأخرى للعقاد والاثنتان عن شيء جديد أسمه "أهل الكهف " مقالة طه حسين كانت بالغة الروعة، والعقاد أيضا أثنى عليها ثناء لم يكن منتظراً منه ... في هذه الفترة كانت الأعمال الإبداعية نادرة.. ولكن احتكاكنا بالجديد جاء عن طريق توفيق الحكيم، وأذكر وقتها أنني كنت طالباً بكلية الآداب اطلعت على " أهل الكهف " وكانت تمثل شيئاً ورائعاً بحيث اعتبرتها بداية جديدة للفن الأدبي العربي. كان تأثيرها كبير جداً حتى " أنها " أحسن ما قرأت له، لكنى أنا أعتبر روحي خرجت من " عودة الروح "، إن ما قرأناه من روايات قبل توفيق الحكيم في أدبنا العربي "حديث عيسى بن هشام" " للمويلحي، "زينب" لمحمد حسين هيكل، "فتاه غسان" لجورجى زيدان، " ابنة الملوك" لمحمد فريد أبو الحديد، وبعض ما ألف طه حسين، والمازني من الروايات. هذه الروايات لها قيمتها وتأثيرها" ولكن حين قرأ نجيب محفوظ "عودة الروح " لتوفيق الحكيم شعر بأنه انتقل من مرحلة إلى مرحلة جديدة ومن مجال إلى مجال أخر فقد كان لعودة الروح سحر وجاذبية خاصة مثل الروائع المترجمة "الحرب و السلام " لتولوستوى " و " البؤساء " ليفيكتور هوجو، و " فاوست " لجوته، ورغم أن فيها ما يشبه المقالات وأيضا رغم خروجها على أشياء كثيرة في الفن الروائي .. رغم كل هذا كان لها امتياز وسحر يخصها وحدها جعلها تفرض روحها على عالم الرواية لقد كانت المدرسة الأخيرة أو المدرسة التي نشأ في كنفها وتخرج منها، فالرواية لديه عملية سحرية من البداية حتى النهاية،الشخصيات اللغة المواقف الحبكة ...ومن هنا كان الحكيم فنانا ساحراً من الطراز الأول ، وكل شيء وضع يده فيه كان يشع منه سحراً، يحلل محفوظ الموقف ويقول " الأساتذة السابقون على الحكيم كانت أساليبهم تجمع بين التراث والمعاصرة في بنية واحدة

مثل أسلوب محمد حسنين هيكل ، طه حسين والعقاد، إلى أخر هؤلاء الرواد لكن الحكيم ظهر بلغة جديدة أفضل أن أسميها لغة توفيق الحكيم لأنها لغة خاصة به وحده، لم يسبقه إلها أحد فأسلوب الحكيم، هو أسلوب الحكيم، ولغة الحكيم هي لغة عذبة وبسيطة وسلسة ومصرية، ومع كل هذا هي ابنة شرعية للتراث العربي، وقد تجلت هذه اللغة في الحوار فقد كان رحمة الله يجد سعادته في الحوار وكل سحره تلمسه في الحوار حتى في أحاديثه في كتاباته، ويبدو أنه خلق ليكون مسرحياً قبل كل شيء، كان الحكيم يمتاز بذكاء نادر وثقافة موسوعية مكنته من التقاط الجزيئات التي قد لا ينتبه كثيرون إليها سواء في التراث أو التاريخ أو الحياة."[1]

والشخصية الثالثة عباس العقاد (1889-1964) المفكر والأديب والشاعر صاحب الدواوين " وهج الظهيرة" و "وحى الأربعين" و "هدية الكروان" والدراسات الأدبية " الثقافة العربية" و" دين وفن وفلسفة" و " أثر العرب فى الحضارة الأوربية" و" عبقرية محمد صلىالله عليه وسلم" و "عبقرية عمر" و "حياة المسيح" و "القرن العشرين ما كان وما سيكون" و "سارة" يكن الأستاذ نجيب محفوظ كل التقدير للعقاد رغم أنه لم يلقه ولم يعرفه معرفة شخصية، وحضر له فقط محاضرة واحده فى كلية الآداب، وهو أيضا لم يصافحه مره، إلا أنه يعتبر نفسه من تلاميذه وأتباعه ومريديه، يقول نجيب محفوظ " بالطبع لقد خلق العقاد عندي قيما عزيزة أولاً قيمة الأدب كفن له سموه لا وسيلة تكسب، كان دائماً يرفع الفن إلى مستوى الرسالة المقدسة، وثانياً أهمية الحرية في الفكر، وفي حياة الإنسان عموما، ثم نظرياته النقدية في الشعر التي جعلتني أتذوقه

[1] ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ...سيرة ذاتية، المجلس القومى للشباب، السلسلة الثقافية للطلائع، يناير 2006، ص 61-62.

جيداً، وكذلك عرفت عنده أول قصة تحليلية نفسية وهي "سارة" "[1] كان لنجيب محفوظ مع العقاد مواقف وطرائف فقد حدث أن تعرض العقاد ذات مرة للرواية وظلمها حين قال : إن الرواية ليست فناً كالشعر، أي أنها ليست في منزلة الشعر فردعليه نجيب محفوظ بأدب قائلا : كما توجد الرواية الجيدة، يوجد الشعر الردئ أيضاً، والحقيقة أن العقاد لم يرد لأن محفوظ تكلم بموضوعية شديدة وبأدب شديد دون استفزاز أو هجوم، بينما نجد العقاد فى موقف نزيه مع نجيب محفوظ ثلاث مرات الأولى: حين تقدم لمسابقة مجمع اللغة العربية ضمن من تقدموا بقصصهم، ولكنهم اختلفوا لمن تكون الجائزة؟ وكان المازني في لجنة التحكيم، وكان يريد إنصاف محفوظ، وبالمصادفة كان العقاد يمرعلى المازني فوجد خناقة فقالوا له تعالى لتكون أنت الحكم، كانت جماعة التقليديين والأزهريين يريدون إعطاء الجائزة لمحمد سعيد العريان, والمازني يريد إعطاء الجائزة لمحفوظ, فلما قرأ العقاد لكل منهما, قال : أوجه المقارنة بينهما , وانتهى الخلاف إلى إعطاء الجائزة مناصفة"، الثانية حينما يذكر د. توفيق الطويل- يرحمه الله- صديق محفوظ أن العقاد فى صالونه يثنى على إصدارات نجيب محفوظ، أما المرة الثالثة التي أنصفه فيها فكانت بعد ذلك بسنوات حين قال العقاد في حديث تلفزيوني أذيع قبل وفاته بقليل: إن عندنا في مصر من يستحق الفوز بجائزة نوبل مثل نجيب محفوظ, وبعد حوالي ربع قرن تحققت نبوءته. هكذا كانت وتكون الصداقة الحقة والإنسانية المخلصة، والأستاذية.

[1] المرجع السابق ص 63.

صبرى العسكرى
والتناغم بين الأدب والقانون

صبري العسكري إنسان تتنازعه موهبتان، الموهبة الأولى الكتابة الأدبية، والموهبة الثانية حبه للمحاماه، وإن كان ظاهر الأمر أن الموهبتين متناقضتان حيث الأدب يحتاج إلى خيال منطلق ولغة فضفاضة وأحاسيس متوهجة، وعلى الطرف الآخر نجد القانون يحتاج خيال واقعى، ولغة محددة، وأحاسيس منضبطة، إلا أن جوهر الموهبتين واحد حيث نجد الأدب والمحاماه ـ وجهين لعملة واحده ـ يبحثان عن قيم الحق والعدل والحرية من خلال القصة الأدبية أو الحكاية الموجودة فى الواقعة أو القضية القانونية، إن مبدأ البحث عن الحقيقة فى عالم المحاماه وإصلاح واقع الناس، هو نفس المبدأ الفنى الذى يهدف إليه الأدب والفن من أجل المجتمع.

ومن هذه الروح الإنسانية تتجسد شخصية صبرى العسكرى الذى يحدثنا عنها الكاتب إبراهيم عبد العزيز فى براعة كاشفا عن كثير من الجوانب الأدبية والفنية والإنسانية من خلال مشوار حياته المتنوع والممتع فى كتابه " صبرى العسكرى خمسون عاما بين الأدب والمحاماة "[1] لقد كتب العديد من القصص والأعمال الأدبية منها قيود محطمة، اللعبة التى انتهت، دعوة للحب، دنيا غير الدنيا، صوت ولا صدى، كلمات فى النقد

[1] ابراهيم عبد العزيز، صبرى العسكرى حمسون عاما بين الأدب والمحاماة، الناشر 2000 للثقافة والنشر،2006.

والسياسة، وغيرها، وأيضا دفاعه فى قضايا شهيرة للأدباء يوسف إدريس وتوفيق الحكيم ثروت أباظة د.عبد العزيز شرف، جمال الغيطانى، عبد الرحمن الأبنودى وغيرهم، وإن كان صبرى العسكرى من أنصار مبدأ " الصلح خير " وهذا إن دل فإنما يدل على نبل خلقه، ومن هنا فإن إبراهيم عبد العزيز يرى أن أكثر قضاياه تنتهى قبل أن تبدأ وإذا بدأت لا تكتمل، وإذا إكتملت فالنتيجة فى جميع الأحوال واحدة – وهى أن الصلح خير، نصيحة يقدمها فى العادة لكل المتقاضين: "الخسارة المحسوبة أفضل من مكسب فى علم الغيب خاصة ان التقاضى ليس رحلة ممتعة وإذا كان لا مفر من الوصول بالمنازعة إلى ساحة القضاء، فإن صبرى العسكرى لم يكن يضيع فرصة تواتيه لعدم الإستمرار فى النزاع، عن قناعة دائمة بأن لكل مشكلة حل بالتى هى أحسن: المودة والمعروف ! وصبرى العسكرى ليس مجرد محام للادباء يعرفونه ويثقون به كناصح أمين، بل إنه واحد منهم عرف طريق الأدب منذ ان كان طالباً بمدينة دمنهور، التى كانت ككل الأقاليم فى النصف الأول من القرن العشرين معملاً لتفريغ الأدباء، يشتهرون بعدها فى القاهرة وتصبح أسماؤهم ملء السمع والبصر. وكانت البيئات الأدبية فى القرى ومدن الاقاليم تعتبر فترة تدريب غنية وكان بإستطاعة كل موهوب أن يبعث بإنتاجه من قريته أو مدينته النائية إلى القاهرة فتتلقاه بالرعاية والترحيب ـ فالقاهرة منارة ثقافية ـ فالقيمة كانت للمكتوب بصرف النظر عن الكاتب سواء كان من أبناء الباشوات أو من أبناء الفلاحين ومن هنا كانت مصر تموج بحركة أدبية وثقافية وفنية عامرة.

ويحكى صبرى العسكرى كيف بدأت تجربته الإبداعية والتى تمثلت بكتابة القصة القصيرة وكانت البداية قصة عنوانها "الصداقة" فحينما كنت فى قريتنا الصغيرة، التى تقع فى منتصف المسافة بين مدينتى شبراخيت ودمنهور، وأرسلتها بالبريد إلى جريدة "صوت الأمة" فى اخر صيف 1948، وكانت المفاجاة أن أجدها منشورة، ودفعنى ذلك إلى مداومة الكتابة لتلك الجريدة ولغيرها من الصحف والمجلات التى كانت تهتم بنشر القصص القصيرة. وبقيت على ذلك الحال. وقد بهرني أن أرى اسمي من بين أسماء الكتاب المعروفين مثل: محمد تيمور بك، سلامة موسى، عباس حافظ قدرى قلعجى، جميلة العلايلي، أمين سلامة. وآخرين، إن النشر للمواهب الشابة يدفع بها إلى الأمام دائما.

وكان صبرى العسكرى ينشر فى الصحف اليومية: صوت الأمة، الكتلة، الزمان، وفى المجلات الأسبوعية: النداء، الفن، القصة، روايات الأسبوع، الصباح، كلمة ونصف، العزيمة، الأستوديو، ومجلة الدنيا السورية لصاحبها عبد الغنى العطرى والطريف فى ذلك الزمن أن الصحف السياسية مثل "الكتلة" – الناطقة باسم الحزب الذى شكله مكرم عبيد باشا بعد أن انشق على الوفد – كانت تشكو من ضيق ذات اليد ولكى تواصل الصدور فى الميعاد كانت تحتفظ بالمواد الأدبية مصفوفة لتعيد نشرها إذا ما حدث عجز فى المادة التحريرية وذلك ما حدث له أكثر من مرة ! الكتابة لدى صبرى العسكرى ضرورة إجتماعية تنويرية تعبر عن الواقع وتسعى للإرتقاء به نحو الأفضل والأجمل.

وهنا قصة شهيرة عن ضرائب الأدباء والقصة تبدأ عندما وجهت إليه دعوة من الراحل سعد الدين وهبة رئيس إتحاد الكتاب فى ذلك الوقت، لحضور لقاء مع نائب رئيس الوزراء للمالية د.عبد الرازق عبد المجيد لمناقشة مشكلات الضرائب مع الأدباء والفنانين وتوجه إلى إحدى المقار التابعة لوزارة الثقافة والإعلام تلبية للدعوة بوصفه مستشاراً لإتحاد الكتاب، وتبين له عند دخول قاعة الإجتماع أن الجميع كتابا وفنانين قد اصطفوا على الكراسى وتحلقوا حول مائدة شغلت النصف الداخلى من القاعة، ولأنه لم يجد لنفسه مكاناً بينهم اتجه إلى الجزء الباقى من القاعة، وجلس على أحد المقاعد المعدة لإستقبال الضيوف، لكى يستمع إلى ما يقال عن بعد، ومن خلال الحديث تبين أن السيد نائب رئيس الوزراء له موقف معاد لرغبة الجميع فى رفع العبء الضريبى عن كاهل الأدباء أو على الأقل تخفيفه، ولكن أشار له المرحوم سعد الدين وهبه للإنضمام للمجموعة، وتفضل الحضور بأن أخلوا له مكاناً وللصدفة السعيدة جاء المكان فى مواجهة سيادة النائب وبادر صبرى العسكرى بعقله الراجح ولغته الفصيحة إلى الإدلاء بوجهة نظره والتى بالطبع تدافع عن الكتاب، بأن ما يتم تحصيله من ضرائب عن كل الكتابات التى تنشر فى مصر فى الصحف أو فى الكتب لا تساوى الجهد الذى تبذله مصلحة الضرائب فى التحصيل. وضرب المثل بالأستاذ المرحوم توفيق الحكيم إذ كانت الضرائب تطارده بالمطالبات المتكررة – مما كان يقلقه بما لا يزيد عن مبلغ 600 جنيه عن المدة المطالب بها – وطالب بالإعفاء الضريبى لما أسماه (الكلمة المكتوبة)، ولكن السيد النائب أبى إلا أن يغلق معه الحوار تمسكاً بشعار الدولة فى ضرورة المساواه بين الجميع، وأن العبء الضريبى شرع فى تحقيق العدالة فى المجتمع، ولا ينبغى الإعفاء منه

تحت أى شعار. وكان من الضرورى أن يرد صبرى العسكرى على حجته (العمومية) بمثال محدد وواضح، فقال له: إنكم تعفون القائمين بتربية النحل من الضرائب.. فهل الكُتّاب القائمون بتربية العقول أقل شأناً ممن يتاجرون فى عسل النحل؟

ومما يثير العجب أن موقف سيادة النائب - عليه رحمة الله – قد انقلب كلية بعد نشر صبرى العسكرى مقالا فى هذا الموضوع بمزيد من التفاصيل والحجج التى تدعم هذه الرؤية، وبالفعل وصدر قانون بإعفاء الكلمة المكتوبة من الضرائب، ومازال معمولاً به حتى الآن، نعم شكرا لصبرى العسكرى الذى يؤمن بأن المحاماة مهنة المبادىء لا الإثراء، ويؤمن ايضا بأنه لا نهاية للعلم ولا نهاية للتعلم، وأن الإنسان منذ لحظة رؤيته لنور الدنيا وهو لا يكف عن التعلم، يتعلم من البيئة ومن الأسرة ومن الجامعة وأيضا من المهنة التى يعمل بها، ولا يوجد فى الدنيا ما يحول بين الإنسان وبين أن يتعلم، وأيضا أن يساعد الآخرين، ولا أنسى أنه منذ أكثر من ربع قرن تقابلت مع الأستاذ صبرى العسكرى فى مكتبه أسترشد برأيه الحكيم فى قضايا فنيه وإذا به يعرفنى على الكاتب الكبير نعمان عاشور رجل المسرح المصرى صاحب "الناس اللى تحت" و"الناس اللى فوق" و"عيلة الدغرى" و"برج المدابغ" وغيرها من الأعمال القيمة، نعمان عاشور الذى عبر عن واقع المجتمع المصرى وطموحاته بلغته الواقعية الساحرة. إن هذا المزيج المتناغم بين روح الأدب وروح القانون إنما هو للرقى الإنساني الذي نطمح إليه جميعا.

ابن خلدون منارة الفكر الإنسانى

في مسيرة التاريخ الإنساني، الزمن محايد، ونحن ما نصنع داخل بعد الزمن، هناك شخصيات تغير من صفحة الحياة، تؤثر فى التاريخ وتغير من مجراه، وهناك شخصيات آخرى تأتى للحياة وكأنها لم تأت، تحضر وكأن شيئا لم يكن، لا شىء يحدث، لا شىء يتأثر، لا شىء يتطور.

إن الشخصية التى نتحدث عنها اليوم، شخصية من الطراز الأول، الذي أنوارها تتلألأ فى سماء الكرة الأرضية، من وراء الأطلسى، من فوق جبال الأندلس، من إسبانيا، الأشعة تتوهج وتتجمع وترسم صورة جميلة لشخصية عربية أصيلة رحلت عن عالمنا منذ ستة قرون، ولكن مازال ضوؤها مشعا يأخذ بالأبصار والعقول، إنها صورة العالم المفكر ابن خلدون.

إن الإحتفال بابن خلدون يمثل ظاهرتين فريدتين نتوقف عندهما للتأمل، الظاهرة الأولى هى التعرف على حياة ذلك الرجل الذي استطاع أن يجعل من ذكراه نقطة إنطلاق لأبعاد إنسانية وفكرية تتجاوز حدود الزمان والمكان وهنا يتجلى سؤال من هو ابن خلدون؟ وتكون الإجابة بأنه هو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد، المشهور بابن خلدون، وهو من مواليد تونس سنة 732 هـ/ 1332 م، تلقى العلم عن والده وكثير من علماء المغرب والأندلس، كما أنه درس علوم القرآن الكريم والعلوم الشرعية واللسانية والفلسفة والمنطق، عاش فى تونس ثم ذهب غلى

المغرب وتقلد بضعة مناصب منها أن السلطان أبو سالم عينه كاتبا لسره، ثم ولاه القضاء، ولما خلع أبو سالم رحل ابن خلدون إلى غرناطة بالندلس سنة 1362 م، وذلك للعلاقة القديمة التى بينه وبين سلطانها ووزيرها، ولقد قام ابن خلدون بتكليف خاص من السلطان بعقد الصلح بينه وبين ملك قشتالة لما كان لديه من عقل راجح، وحجة بالغة فى البرهان، وحكمة فى تصريف الأمور، ولكن لأن أهل الشر يفسدون الأعمال الطيبة لذلك أفسد أهل الشر العلاقة بينه وبين السلطان فترك ابن خلدون الأندلس إلى المغرب، ثم عاد مرة آخرى بعد بضع سنوات إلى الأندلس، ولكن الأمراء كانوا يخشونه فأرجعوه إلى المغرب مرة آخرى سنة 1374م ولكن فى سنة 1382 م ذهب ابن خلدون إلى مصر، فرحب به السلطان برقوق الذى عينه قاضيا، وخلع عليه ولقبه "ولى الدين" فلم يدخر ابن خلدون وسعا فى الإصلاح وحرصا على المساواة فى وجهة نظرة، متوخيا للدقة والإخلاص فى العمل عزوفا عن المحاباة ومن ثم لقى ابن خلدون التكريم من أهل القاهرة وعلمائها، وتجمع حوله طلاب العلم ينهلون من معارفه وعلومه، فاتخذ ابن خلدون من الأزهر مدرسة يلتقى فيها بطلاب العلم، وقد تلقى عنه عدد كبير من العلماء منهم تقى الدين المقريزى وابن حجر العسقلانى.

أحب ابن خلدون القاهرة بكل سحرها وجمالها وبكل ما فيها من مظاهر الحضارة فقال عنها " فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، وكرسى الملك، تلوح القصور والأواوين فى جوه، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه، وتضىء البدور والكواكب من علمائه، وقد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة، ومدفع مياه السماء، يسقيهم النهل والعلل

سيحه، ويحيى إليهم الثمرات والخيرات ثجه، ومررت فى سك المدينة تغص بزحام المارة، وأسواقها تزجر بالنعم..." وعاش بمصر حتى توفى فى رمضان سنة 808 هـ، مارس سنة 1406م.

لم يصل إلينا من آثار ابن خلدون إلا كتاب العبر ومقدمته وملحقه فى التعريف بابن خلدون، وقد ذكر بعض المؤرخين أن ابن خلدون قد ألف "شرح البردة" ولخص وعلق على كثير من كتب ابن رشد، ولخص مختصر الإمام فخر الدين الرازى، ثم ألف كتابا فى الحساب، ولكن لم يصل إلينا شىء من تلك الكتب.

لقد كان لدى ابن خلدون فكرة أصيلة ورأى غير مسبوق وهو إنشاؤه "علم العمران" أو "علم الإجتماع"، وهنا يطرح سؤال مهم، كيف توصل ابن خلدون لهذا العلم؟ نظرا لأن ابن خلدون باحث مدقق، وعالم محلل، يتأمل الظواهر من حوله، يعمل على رصدها، وتحليلها وتصنيفها، ومعرفة الأسباب لتكوين تلك الظاهرة، إستطاع أن يخلص بنتائج وأيضا يستخلص من النتائج منهجا خاصا به، وبمزيد من التوضيح من خلال دراسة ابن خلدون لكتب التاريخ التى ألفها المؤلفون السابقون عليه مثل ابن اسحاق والطبرى والمسعودى، فوجد أن هذه الكتب مليئه بالأخطاء، وأخذ يبحث ابن خلدون عن الأسباب التى ساقت المؤرخين إلى الخطأ فوجد منها التشيع للمذاهب، عدم معرفة القصد من الخبر، توهم الصدق ولكن هناك سببا آخر ذو أهمية بالغة وهو " الجهل بطبائع الأحوال فى العمران" ويشرح ابن خلدون ذلك ويوضح قائلا " إن كل حادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه فى ذاته، وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان

السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال ومقتضياتها، أعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب"[1] نفهم من ذلك أن السبب الرئيسى من أخطاء المؤرخين هو جهلهم وعدم معرفتهم بطبيعة وقواعد النظم الإجتماعية، وعلى ذلك من الضرورى تخصيص علم لدراسة العمران أو الإجتماع لكى يدرسه ويفهمه المؤرخ قبل أن يبدأ فى عمله، إن ابن خلدون بهذه الرؤية يتجاوز فى هذا الشأن أوجست كونت وأميل دوركايم وغيرهما من علماء الإجتماع الذين يأخذون بالمنهج العلمى فى إستقراء الواقع وفق المعلومات والمعطيات التى يتم رصدها وتحليلها، ويؤكد ذلك قول المؤرخ الإنجليزى أرنلد توينبى من أن ما صاغه ابن خلدون من فلسفة للتاريخ تمثل بما لا يدع أى مجال للشك أعظم عمل كان قد أنجزه الفكر الإنسانى فى كل العصور وفى كل بلدان المعمورة.

لقد كان ابن خلدون عالما مجتهدا ورائدا مجددا فى كثير من العلوم والفنون، على هذا يعتبر ابن خلدون رائدا من رواد فن الترجمة الذاتية (الأوتوبيوجرافي) ويعد كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا " من المراجع والمصادر الأولى لهذا اللون من فن الترجمة الذاتية حيث كتب وشرح وحلل بشكل مستفيض وبتفاصيل كثيرة ودقيقة عن طفولته وشبابه إلى قبيل وفاته.

أما الظاهرة الثانية فهى كيف نحتفل بالعلماء، كيف نسترجع تاريخ النخبة ونحاول إكتشافه من جديد والإستفادة منه، كيف نتعامل مع التراث بروح عصرية مجددة، وكيف نقدم هذه النخبة للوطن المحلى وأيضا للمستوى

[1] حسن سعفان: معجم أعلام الفكر الإنساني، تصدير، د. ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 123.

الدولى، كيف نستفيد من الحدث؟ كيف نصنع البرامج والخطط لتقديم الحدث؟ كيف نروج للحدث؟ لم تعد الثقافة فى الغرف المغلقة بين القاعات والصالونات، بل أصبحت الثقافة تنطلق لكى تحلق بمستويات متعددة من التنوع محاضرات، ندوات، كتب، تعبر عنه أجهزة الإعلام من صحافة وتليفزيون وأيضا عبر الإنترنت لكى ينتشر لكل الناس، تستفيد الدول من الأحداث الثقافية لكى تحقق أبعادا سياسية وسياحية وإقتصادية، صنعت إسبانيا من هذه الإحتفالية بابن خلدون رؤية حضارية عملية فى تطبيق مقولة حوار الحضارات أو بمعنى آخر أوربا تحتفل بعالم عربى إسلامى نظرا لعطاءه العلمى للفكر الإنسانى ما أجمل ذلك، وهذه الإحتفالية أيضا جمعت اللقاء بين الملوك والرؤساء وبين مسؤولي منظمات ومؤسسات دولية. إن هذه الإحتفالية صنعت توهجا سياحيا من زيارات لكثير من الجمهور لمشاهدة مخطوطات وتماثيل وآثار لهذا العالم. لقد تضامنت وتعاونت إسبانيا مع مؤسسات فى دول آخرى من أجل تقديم هذه المناسبة ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المكتبة الوطنية الفرنسية، المعهد الأسبانى فى البرتغال، معهد الدراسات الشرقية فى إيطاليا، جامعة أثينا هذا بالإضافة إلى جامعة أشبيلية وجامعة غرناطة وجامعة قرطبة فى إسبانيا.

أتمنى أن يقيم عالمنا العربى إحتفالية فعلية عن ابن خلدون لكي ننتفع بعلوم أجدادنا لأننا أولى بالاحتفال، وأولى بالإستفادة بمسيرة وتاريخ حياة هذا المفكر لكي نواجه تحديات المستقبل بفكر مستنير يصنع تواصلا حضاريا وإنسانيا.

ميتشيو كاكو والمستقبل

إن أصحاب الرؤى المستقبلية لا يقنعون بفهم الماضى، وإنما هم يريدون أن يستخدموا معرفتهم لتنمية مزيد من الفهم للمستقبل ـ لأن المستقبل ليس تكرارا للماضى ـ وهم أيضا على قناعة بأن المستقبل هو بؤرة الفعل الإنسانى، وأن القيمة التى يطرحها الماضى هى إستخدام المواقف والأحداث كمصدر إرشادى لإلقاء الضوء على الإحتمالات المستقبلية، إن هذا لا يعنى أن معرفة الماضى تصبح قاعدة وحيدة للمستقبل، لا ، وإنما هناك معطيات آخرى مثل دقة المعلومات، وكيفية النظر إلى هذه المعلومات من زوايا عقلية مختلفة، والقدرة على إستنتاج نظريات وآراء موضوعية ـ دون تأثير رغباتنا وأهوائنا الشخصية فى تقييم الأشياء ـ من هذه العملية الفكرية تكون ركيزة للمستقبل.

يقول ويليس هارمان فى كتابه " دليل غير كامل إلى المستقبل " " غالبا ما تفترض، بتبرير كبير إن المستقبل الأكثر رجحانا هو الاستمرار المباشر للإتجاهات الماضية، بيد أن من الواضح اليوم أن كثيرا من الإتجاهات القائمة منذ أمد لا تستطيع الإستمرار دون تغير، والتزايد السكانى لا يمكن له أن يزداد زيادة كبيرة، وإستخدام الطاقة العالمى لا يمكن له أن يزداد على ما لا نهاية، ونماذج إستهلاك المعادن العالمى يجب أن يتغير. والحقيقة انه كان واضحا طيلة عقود عديدة أن المجتمع الحديث قد انفصل عن الماضى فى عديد من التوجهات." [1]

[1] ادوارد كورنيش: المستقبلية، ترجمة محمود فلاحة، دراسات فكرية، دمشق، 1994، ص 93-94.

لقد تغير الموقف الإنساني من المستقبل نتيجة التطورات شديدة السرعة فى مجالات التكنولوجيا، والبيولوجيا، والاتصالات، والفضاء...ومن هنا تأخذ الدراسات المستقبلية دورا هاما فى محاولة وضع سيناريوهات جادة تجاه المستقبل، ومن العلماء الذين لهم دراسات فى هذه المجال ميتشيو كاكو "Michio Kaku" وهو عالم يابانى تخصص فى الفيزياء النظرية حيث تخرج فى جامعه هارفارد عام 1968 بتقدير أمتياز مع مرتبه الشرف علاوه على كونه الطالب الأول فى مادة الفيزياء، وفى عام 1972 التحق كاكو بجامعة كاليفورنيا حيث عمل بمعمل " بيرلى للاشعاع الـذرى " Berely Radiation Laboratory وفى عام 1973 حصل على درجة الزمالة من جامعة برينستون "Princeton" حيث قام بالتدريس بذات الجامعه لمدة 25 عاماً، قام دكتور كاكو بالإشراف على العديد من رسائل الدكتوراه الـتى تعد مرجعا هامـا فى معامل الفيزياء فى جميع أنحاء العالم، يأخذ كاكو على عاتقة استكمال مسيرة اينشتاين فى ايجاد نظرية فيزيائية لكل شيء فى الكون Theory for Everything، دكتور كاكو من أعلام الفيزياء النظرية وله العديد من المؤلفات في هذا المجال مثل الفضـاء الواسع "Hyper Space" رؤى مستقبـلية"Visions" أكوان متوازيــة Parallel "Worlds" كما حضر بروفيسور كاكو فعاليات مؤتمر" أينشتاين" الذي أقامته مكتبة الإسكندرية ـ تلك المنارة الحضارية ـ في الفترة من ٤-٦ يونيو 2005 احتفالاً بمرور مائة عامٍ على "١٩٠٥عام أينشتاين للمعجزات"، إن هذا المؤتمر الذي جمع العلماء من مختلف أنحاء العالم كان يهدف إلى نشر الوعي بأهمية الفيزياء بصفة خاصة والعلوم بشكل

عام في حياتنا وأثرها الكبير في النهضة التكنولوجية التي نعيشها، وكذلك تشجيع طلبة المدارس والجامعات على هذا النوع من الدراسة وتعريفهم بالدور الذي تلعبه الفيزياء في إثراء باقي العلوم والمجالات الأخرى كالهندسة والطب والصناعة. ومختلف مجالات الحياة.

ويعتبر كتاب "رؤى مستقبلية""Visions"[1] لكاكو من أهم الكتب التى تناقش ما سيكون عليه التطور العلمى والتكنولوجى فى القرن الواحد والعشرون وما بعده، ولقد إعتمد كاكو فى هذا الكتاب على ما اتيح له من مقابلات عديدة مع أكثر من مائة وخمسين عالما في تخصصات مختلفة. ويطرح الكتاب عديد من الرؤى المستقبلية فى كثير من المجالات منها كيف سيشكل الإنترنت حياتنا؟

إن شبكة الإنترنت جاءت لتبقى وبالطبع إن النمو الهائل فى الإنترنت سوف يتحول إلى نمو ثابت وعادى سوف يصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية وتكون ضرورية للقيام بأعمال التجارة والفنون والعلم والتسلية يمكن القول أن شبكة الإنترنت فى السنوات القادمة سوف تصبح كالماء والهواء ولن يستطيع أحد أن يستغنى عنها حيث سترفع من قدرتنا على العمل فى المنزل والمكتب كما أنها سوف تجمع بين الهواة من جميع أنحاء العالم إلى التسوق الإلكترونى (السوق الإلكترونية) كما أنه سوف يتواجد مفهوم الحجز عن طريق الإنترنت (تذاكر القطار وتذاكر الطيران والكتب) بل يمكنك إرسال تصميم الملابس التى تريد شرائها إلى الشركة المصممة للملابس، وسوف يقدم لك التصميم ثلاثى الأبعاد على شاشة

[1] ميتشيو كاكو: رؤى مستقبلية، ترجمة د. سعد الدين خرفان، عالم المعرفة 270، يونيو 2001.

الكومبيوتر ويمكنك أن تشاهده وتطلب تعديلات طبقا لرؤيتك ثم بعد ذلك سوف يتم إرسال المنتج لك فوراً، أيضا سوف تتحول التجارة الحقيقية إلى تجارة عبر شبكة الإنترنت حيث لا يوجد مكان بعيد أو معزول عن بقية العالم، وليس هناك مشكلة إلى أماكن التخزين، ولكن كل المعاملات فى هذا الفضاء الإفتراضى والذى سوف يحمل إختناقات النطاق الترددى لفيضان المعلومات المتدفقة عبر شبكة الإنترنت، وهذا سوف يدفعنا إلى أن يصبح الليزر هو الوسيط الرئيسى للإنترنت لأنه يستطيع نقل المعلومات بسرعة فائقة وبكمية غزيرة، لقد صنعت كابلات ليفية يمكنها نقل كمية هائلة من المعلومات تقدر ب 100 مليون بت فى الثانية، وهى تعادل إرسال الموسوعة البريطانية عبر ليف زجاجى خلال أجزاء من الثانية وهذا هو الحد الأقصى الذى يمكن الحصول عليه بالتكنولوجيا الحالية، إن ذلك سيجعل طاقة الليزر بلا حدود، ولن يحد من قدرتها سوى ضعف التجهيزات التكنولوجية.

كما أن الجديد فى عالم الذكاء الصناعى أو ما قد يطلق عليه باسم عالم الروبوتات "Robots" هو ان روبوتات الجيل القادم سوف تتعلم بذاتها وتكتسب الخبرة بذاتها أى أننا أمام شبيه الإنسان الصناعى لذلك فإنه عند صناعة الروبوت يحتاج إلى عملية لإكتشاف المجتمع المحيط به أى أن فإن كميه المعلومات (الحياتية) عند ولادة الروبوت هى (0). إن الروبوتات سوف تدخل كل مجالتنا الحياتية فى الطب، البناء والأعمال الهندسية، صناعة الكمبيوتر، وكل الصناعات الثقيلة، كما أن " الفني (فني صيانة الأجهزة الكهربية) " سوف يمتلك ريبوت يساعده على القيام بأعماله إلى جانب سائقى (التاكسى) سوف يكون ريبوت يتم إدماجه

بخريطة مفصلة للمدينة يتعامل معها لكى يوصل العميل إلى المكان الذى يريده.

يحاول العلماء الإرتقاء بتكنولوجيا صناعة الروبوتات إلى مرحلة "الفهم الإنسانى" فهم يحاولون أن يضيفوا إلى الروبوت بعض الخصائص الإنسانية البحته مثل: "الحب، الكره، الغيرة، المرح" ولكن أحد العقبات التى تواجه العلماء الآن هى أن الروبوت يرى، ولكنه لا يفهم ما يراه بمعنى أنه إذا تواجد فى غرفة معيشة فإن آلة التصوير تقسم صورة غرفة المعيشة إلى آلاف النقط الصغيرة والتى يجب مقارنتها نقطة فنقطة مع الصورة المخزنة فى ذاكرتها. ويستغرق هذا الأمر من ساعة إلى عدة أيام. وذلك فإن التعرف على الوجوه مشكلة صعبة بشكل خاص، فمن الصعب على أجهزة الكمبيوتر التعرف على وجه إنسان إذا أدير هذا الوجه لعدة درجات فقط. كما أنه هناك بعض الأنواع من الروبوتات التى سوف تتعلم الكلام وطريقة اللفظ بدائرة عصبية بسيطة صناعية بشكل مدهش، بعيداً عن البرامج والقواميس أو قواعد التصريفات، إن عالم الروبوتات والذكاء الصناعى يدخل آفاق بعيدة تقترب من عالم الإنسان.

عصر اليوم ينطلق فى فضاء رحب ومن ثم التواجد الحضارى للأمم يرتكز على العلم والمعرفة في بنية المجتمع الذي يتوجه للمستقبل.

صلاح طاهر
رحلة مع حرف الألف

منذ سنوات قليلة رأيت الفنان التشكيلى صلاح طاهر (1912-2007) يتجول فى ردهة المجلس الأعلى للثقافة كان يتابع ندوة، رأيته منفردا، وهو قد تجاوز التسعين عاما، قلت فى نفسي ما شاء الله، صلاح طاهر يتجول بمفرده، فى تلك اللحظة، وبلغة السينما وهي) المزج Dissolve) أي تأخذ صورة فى الظهور بشكل تدريجي على صورة آخري، حتى يتم اختفاء الصورة الأولى وتظهر الثانية فقط! يا للعجب! ما هذا الذي أرى أمامي؟ إنه حرف الألف يظهر فوق صورة صلاح طاهر، وفى ثوان قليلة تلاشت صورته، وبقي حرف الألف أمامى قويا مستقيما شامخا، ثم فجأة وجدته يمشى إلى جوارى، ولكنى كنت أود الحديث إلى الفنان إنها فرصة عظيمة، ماذا على أن أفعل؟! لمعت لدى فكرة، لماذا لا أسأل هذا الحرف، لقد إستشعرت أن هناك علاقة روحية بينه وبين الفنان صلاح طاهر، لا أدرى، هذا التيار الداخلي يوجهنى أن أقترب من الألف وأبدأ الحديث معه. قررت وذهبت بأدب وقلت له: من فضلك، هل تعرف الفنان صلاح طاهر؟ نظر إلى حرف الألف مبتسما، وقال لى بصوت هادىء: نعم أعرفه. اطمأنت نفسي وشجعتني لمزيد من الأسئلة، قلت لماذا كانت البداية فى لوحاته واقعية؟

قال حرف الألف: لا يا صديقى العزيز، لم يكن واقعيا مثل بارهاسيوس، هل تعرفة؟ قلت: لا. وفجأة أمسك بى الألف بقوة، ووجدتنى فى لمح

البصر فى ساحة كبيرة، إنها أثينا القديمة، وحرف الألف إلى جوارى يقول لى أنظر إنها مسابقة فنية بين اثنين من رسامي أثينا الشهيرين لنرى أيهما يصور الطبيعة أكثر من الأخر.. " " زوكسيس " أم " بارهاسيوس " إنه يوم التحكيم، نظرت باهتمام فوجدت فلاسفة اليونان يتأملوا لوحة " زوكسيس " التي رسم فيها عناقيد العنب، وكأنها حقيقية. أثناء تأملها هبطت الطيور من السماء لتلتقط حبات العنب. وجـاء دور " بارهاسيوس " فطلب من المحكمين أن يرفعوا الستار عن لوحته ليروها.. ومدوا أيديهم ليرفعوا الستار.. فإذا الستارة نفسها هي الرسم على اللوحة. قلت لحرف الألف: لقد بلغت اللوحة من دقتها أن خدعت المحكمين، أي أن اللوحة الأولى قد خدعت الطيور، أما اللوحة الثانية فقد خدعت أبصار الفلاسفة ورجال الفكر. ولذلك استحقت لوحة الستارة أن تفوز بالجائزة"[1]. قال حرف الألف: إن صلاح طاهر لا هذا ولا ذاك، إنه لا يحاكى الطبيعة، وإنما كانت المناظر الطبيعية وأعماله فى فن البورتريه لرواد الجيل أمثال رفاعة الطهطاوى، أحمد شوقى، طه حسين وغيرهم، تعكس الروح الداخلية لهذه الأعمال من خلال المذهب " التأثيري " الذي يحتفل بالأضواء ويهتم بتكامل الألوان المتقابلة. إنه التجاوز للشكل الفوتغرافى والمظهر الخارجى إلى الأعماق النفسية للموضوع الذي يتناوله.

قلت لحرف الألف: شكرا لهذا التوضيح العملى ولكن الصديق الفنان بعد ذلك اتجه إلى التجريدية؟ أمسك الألف بيدى مرة آخرى فإذا بنا سويا فى متحف الفن الحديث بالقاهرة، أمام لوحة " الهابطون من السماء " وهى بالطبع للمبدع صلاح طاهر، ثم قال لى : " إن الفنان يتنفس عصره

[1] ألوان من الفنون، السلسلة الثقافية لطلائع مصر، وزارة الشباب، نوفمبر 2005، ص 14.

ويعتصره" فمن ثقافة الفنان والمحيط الذى يتفاعل معه ينطلق فنه فى اختياره للقوانين التى يبنى عليها عمله ، كما تتفاوت هذه القوانين بصورة كبيرة بين فنان وآخر، وأيضا بين الفنان نفسه، من مرحلة إلى مرحلة آخرى، لقد عايش صلاح طاهر ما حدث من تغير فى المجتمع المصرى بعد ثورة 1952 وظهور طبقات جديدة، أيضا كانت التجريدية كفن منتشرة فى العالم الغربى، كما كان صلاح مولعا بالموسيقى الكاسيكية وفهمها، والموسيقى فن التجريد، كان القلق ينتابه للبحث عن أسلوب يحقق فيه شخصيتة، ويصنع إضافة للفن المعاصر، والحكمة تقول " إذا إتسعت الرؤية ضاقت العبارة " فهكذا كانت مرحلة التجريدية للطبيعة والمكان والأشخاص متعة يعبر فيها عن ذاته ورؤاه دون الإلتزام بالشكل الواقعى، فكانت عالما وجد فيه نفسه وحلق معه.

قلت: والدليل على ذلك لوحاته اللاتشخيصية التى نراها الآن؟

قال حرف الألف: نعم، إنها لوحات تصور تشكيلات إنسانية وهم يبدون فى شكل تكتلات قوية مهما كان عددهم، إنهم يتداخلون ويتماسكون كما يحدث فى الحياة مثل: "أمام المعبد " " تجمع " " ثلاثة نسوة" " حوار " " حرب " " أمام الأفق " ولوحة " هو ". قلت: يبدو أنك تعرف هذا الفنان بشكل قوى من فضلك كيف تكونت تلك الشخصية الأصيلة؟

قال حرف الألف: تجربة صلاح طاهر العريضة والثرية فى الثقافات المختلفة من قراءة لمناهل الفكر والفلسفة، الحب للموسيقى الكلاسيكية، الإبحار والمعايشة فى حضارات مصر الفرعونية والقبطية والإسلامية وكذلك الفلكلورالشعبى، السفر للخارج والإنفتاح على الآخر، والتأمل فى منظومة الكون ومحاولة التناغم معه، كلها صنعت اتساعا فى الرؤية، عناصر صنعت نموذجا فريدا على المستويين الإنسانى والفنى، لأنه أبدع

لغة لونية فنية تتحاور مع الواقع، لقد امتزجت القيم المادية والروحية والجمالية فى بوتقة واحدة، وشكلت فن صلاح طاهر الذى ينفذ إلى الأعماق الإنسانية، ويتخطى بذلك حدود المظاهر الخارجية للمكان وفى نفس الوقت يتجاوز الزمان، إنها رحابة زاوية الرؤية تجاه الموضوع الذى يعبر عنه، ويبدعه الفنان من خلال منظوره البصرى، ومع ذلك فهو يحمل ملامح خصوصيته وقيمه المصرية الأصيلة كعنصر جوهرى فى فنه، ومن هنا تكمن روعته فى روحه العالمية.

قلت مندهشا لدقة الإجابة: هل تسمح لى بسؤال شخصي؟ قال: تفضل. قلت من أنت؟ قال: أنا " حرف الألف"[1] إحدى لوحات الفنان صلاح طاهر، وأنا أول حروف العربية، والهمزة الملحقة بى توضح كيفية النطق، وأنا رأيتك في إحدى معارض الفنان طاهر، وأنا أتذكرك جيدا، لا تعتقد أيها الكاتب أنك تأتى أنت وأصدقائك لتشاهدونا فى لوحات على الجدران، نحن أيضا وفى المقابل نتفرج عليكم فى الأثير، نحن أيضا نستمتع بمشاهدتكم. إختفى حرف الألف من أمامى، ولم تختف لوحات الفنان من ذاكرتى.

رحم الله صلاح طاهر كألف مستقيم قوى، أدى دوره فى صفحة الحياة، ورسم فيها لوحة بألوان جميلة فيها كل العطاء والبهجة والتفائل والحب للكون.

[1] صبحي الشارونى: صلاح طاهر، سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية، الهيئة العامة للإستعلامات، 1985.

الأم

تحية مفعمة بعطور الريحان والياسمين إلى أمي وهي في عالمها الروحي، تحية أرسلها عبر الآثير الذي يجمع كل الكائنات سويا فى هذا الكون السرمدى، تعجز الكلمات على أن تعبر عن مكنون نفسي تجاه أمى لأنها أعطت بكل حنان وعطف دون انتظار شيء، عطاء للعطاء، عطاء لا نهائى يحمل كل الكرم والجود والحب.

أتذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقى:

الأم مدرسة إن أعدتها أعدت شعبا طيب الأعراق

نعم الأم هى المعلم الأول، والمدرسة الأساسية للأبناء فى مراحلهم الأولى من التربية، فهم يستقون منها العطف والحنان، وفى نفس الوقت الخبرة المعرفية والتعلم، وكلما كانت الأم واعية متعلمة مدركة لدورها فى التنشئة وفى التربية كلما كان الجيل صالحا قادرا على مواجهة تحديات المستقبل ، وضرورة فى عصرنا هذا أن تكون الأم مواكبة للتطورات العصرية، إن المشاركة المجتمعية هامة لكى تتكاتف الأم فى منظومة المجتمع، إن أيضا تعلمها ليس فقط القراءة والكتابة بل نتجاوز ذلك إلى معرفة اللغات، وتقنية الكومبيوتر والإنترنت يصبح واجب يحتمة التقدم التكنولوجى الذى يجب أن نتفاعل معه لأن سبل الحياة تسير نحو التطور، ويجب على الأم أن تتفاعل مع مستجدات العصر لكى تصنع تفاهما مع أبنائها، بعض الأمهات تقول: أنها تؤدى دورها داخل المنزل على أكمل وجه ولا يعنيها الكومبيوتر، ونقول لهؤلاء، هذه وجهة نظر غير

صحيحه، لأن المعرفة اليوم أصبحت واجبة وضرورة لكى نعرف ما يدور حولنا، وأيضا سبل التعايش مع العصر يتطلب معرفة هذه التقنيات التكنولوجية لأننا نرى اليوم التليفزيون تداخل مع الكومبيوتر، وشراء المستلزمات المنزلية من خلال الكومبيوتر، وحجز تذاكر الطيران والسينما من خلال الكومبيوتر، وعمل كشف حساب منزلى والجامعة المفتوحة من خلال الكومبيوتر، والتواصل عبر العالم الإفتراضى من خلال الكومبيوتر، إنه حق مثل حق ممارسة المشاركة السياسية داخل جدران المجتمع، لكى تصنع هذه الأم الواعية شعبا عريقا.

الأم هى الأرض التى تثمر وتزهر، وبعض الأبناء لا يقدرون دور الأم فى مشوار الحياة القصيرة التى نحياها، تمر بنا الأيام والبعض لا يعبأ ولا يهتم بوجود الأم، تأخذنا الحياة فى مشوارها بكل طرقه ودروبه، وننشغل بأعمالنا وشئوننا والبعض لا يدرك أن هناك أما يجب أن نقدم لها كل الرعاية، حق الرعاية، وأن نسأل عنها، وأن نكسب رضاها، لأن الوقت يمر، وهو يمر مسرعا، وفجأة يمكنها أن ترحل من الوجود، ويصبح الأمر صعبا ومستحيلا لتعويض ما فات. حكى لى صديق بأن هناك أم تسكن فى " دار للمسنين " ولها ثلاثة أبناء فى وظائف متميزة لم تر أحد منهم منذ خمس سنوات، إنهم يدفعون لها أجرة الدار كل شهر فى الحسابات، وينصرفون مسرعين دون المرور عليها، ودون السؤال عنها، ودون رؤيتها! وهذه الأم فى شوق شديد لرؤية الأبناء، وهذه الأم أيضا كم سألت مدير الدار أن يطلب من أبنائها عند الحضور بضرورة مشاهدتها، ولكن دون جدوى، ينصرفوا فى كل مرة مسرعين نحو إنشغالات المدينة المزدحمة، ما هذا؟! لم يتذكر هؤلاء الأبناء كم فعلت هذه الأم فى حملهم،

وتربيتهم، وتدليلهم، والسهر على راحتهم حتى أصبحوا فى وظائف مرموقه وقادرين على خوض الحياة بقوة، لم يتذكر هؤلاء الأبناء كم عانت هذه الأم حتى يكملوا تعليمهم بعد موت أبيهم، ما هذا؟!

أتذكر الآن قصة من التراث الهندى، أرجو أن يقرأها هؤلاء الذين لا يدركون قيمة الأم، وأن الحياة دائرة دوارة. يحكى أن فلاحه كانت تحب ابنها، وتصحبه دائما للعمل فى الحقل معها، وكبر الابن وتزوج وولدت له زوجته طفلا جميلا ظريفا...وكبر الطفل على حب جدته من كل قلبه...وكانت الجده قد أصبحت عجوزا غير قادره على العمل فى الحقل كما كانت تفعل فى شبابها، لذلك كانت تبقى فى البيت مع الطفل تلعب معه، وتحكى له حكايات طريفة، بينما تقوم أم الطفل بأعمال المنزل...وكانت الأسرة سعيدة إلى أن خرج الشاب والد الطفل إلى السوق، يبغى بيع بقرته.. ولكنه لم يجد مشتريا يدفع الثمن الذي يريده، فعاد إلى البيت حزينا غاضبا، فوجد زوجته لم تعد طعام الغذاء لمرضها، فأساء إليها بالقول، وغضبت والدته عليه، وعاتبته قائلة: هل تسئ إليها بدلا من أن تأتى لها بالطبيب أو تصحبها عليه؟ فإذا بالشاب يصرخ في وجه أمه بكلمات غاضبة سخيفة، وكان مما قاله لها: مالك أنت أيتها العجوز الكسول؟ أنت تجلسى بلا عمل طيلة النهار، تأكلى وتشربى وتنامى دون أن تبذلي مجهودا...؟ أنا لا أريدك أن تبقى في بيتى، فقالت الجدة: لقد تعبت في حياتى كثيرا.. جدا ... وبذلت كل ما فى وسعى لكي ... ثم ...؟ قال الابن: أنا لا أريدك أن تبقى في بيتي، فقالت له الأم: لقد تعبت في شبابى وصار من حقى أن أستريح فإذا كنت لا تريد منى أن أبقى في بيتك، فأننى سوف أغادره في التو واللحظة.. وقامت الأم تسير

تجاه الباب.. وجرى الطفل خلف جدته صارخا باكيا: لا لا لا تذهبى يا جدتى ... أنا أحبك.. ابق معنا ... وارتفع صوت الطفل ينوح في ألم شديد ... بل أن الدنيا نفسها بكت، نزلت الأمطار من عيون السماء ... وبدأ الطفل يرجو أباه أن يبقى جدته، ورجته زوجته كذلك، ولكنه أصم أذنيه، ورفض كل رجاء ... وخرجت الجده إلى الخارج إلى الشارع، ومياه الأمطار غزيرة والبرد شديد .. وتألمت أم الطفل لخروج العجوز في مثل هذا الجو الفظيع، فتوسلت إلى زوجها أن يعطى الأم العجوز شالا تتدثر به، وتتقى به المطر.. فوافق وطلب من ابنه الصغير أن يدخل لإحضار الشال، فإذا بالطفل يعود من الداخل وليس معه سوى نصف الشال.. سأله أبوه: لماذا قطعت الشال إلى نصفين؟ قال الطفل: هذا النصف لجدتي لكي يحميها من المطر... أما النصف الأخر أبقيته لك يا أبى حتى تكبر! "

أتذكر أيضا حديث الرسول الكريم حينما جاءه رجل يسأله: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك. علينا أن نكون بررة بالوالدين لأن الزمن لا يعود مرة آخرى إنها فرصة ذهبية بل فرصة لا تعوض، لأن الأم شخصية نورانية فى طريق الحياة.

المراجع

إبراهيم عبد العزيز: أساتذتي، ميريت، 2002.
إبراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ سيرة حياة كاملة، نفرو للنشر والتوزيع، 2006.
ابراهيم عبد العزيز: أنا نجيب محفوظ... سيرة ذاتية " المجلس القومى للشباب، السلسلة الثقافية لطلائع مصر، يناير 2006.
ابراهيم عبد العزيز، صبرى العسكرى خمسون عاما بين الأدب والمحاماه، الناشر 2000 للثقافة والنشر،2006.
د. أحمد مستجير: علم اسمه السعادة، سلسلة اقرأ، دار المعارف، 2002.
د. أحمد مستجير: قراءة في كتابنا الوراثى، سلسلة اقرأ، دار المعارف، 1999.
إدوارد دى بونو: قبعات التفكير الست، ترجمة د. شريف محسن، نهضة مصر، 2006.
ادوارد كورنيش: المستقبلية، ترجمة محمود فلاحة، دراسات فكرية، وزارة الثقافة، دمشق، 1994.
إزرا.ف. فوجل: المعجزة اليابانية، ترجمة، د. يحيى زكريا، اللف كتاب الثانى (240)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
اكيراكوروساوا: ما يشبه السيرة الذاتية، ترجمة فجر يعقوب، منشورات وزارة الثقافة، الفن السابع 16، دمشق، 1996.
ألبرت أينشتين: أفكار وآراء، ترجمة، د. رمسيس شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
د. أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003، ص 271..
المهدى المنجرة: حوار التواصل، وكالة شراع، المغرب، 1997.
باتريك سميث: اليابان رؤية جديدة، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة 268، الكويت، أبريل 2001.
برتراند راسل: انتصار السعادة، ترجمة محمد قدرى عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة 409، 2002.
بيئتنا الجميلة، السلسلة الثقافية لطلائع مصر، وزارة الشباب، يونيو 2005.

بيل جيتس: المعلوماتية بعد الأنترنت، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة 321، الكويت، 1998.
تقرير حالة البيئة فى مصر، اصدار مايو 2005، وزارة الدولة لشئون البيئة، 2005.
د. ثريا عبد الله: اللغة والمجتمع، دار المعارف، كتابك 152، 1977.
جاك ديلور: التعليم ذلك الكنز، تقرير قدمته إلى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادى والعشرين، اليونسكو،1996.
جيمس هنرى برستد: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الألف كتاب (108)، مكتبة مصر، بدون تاريخ.
د. حافظ شمس الدين عبد الوهاب: إطلالة على حياة عالم مصرى فى عامه التسعين، دار الجمهورية، 2003، ص 193.
حسن سعفان: معجم أعلام الفكر الإنساني، تصدير، د. ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
د. زكى نجيب محمود: هذا العصر وثقافته، دار الشروق، 1980.
شوساكواندو: الصمت، ترجمة، كامل يوسف حسين، روايات الهلال، أبريل 1997.
صبحي الشاروني: صلاح طاهر، سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية، الهيئة العامة للإستعلامات، 1985.
د. صلاح عرفة: حديث شخصي مع المؤلف، الجامعة الأمريكية، القاهرة، فبراير 2006.
عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر، 2004.
عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، نهضة مصر، 2004.
عبد التواب يوسف: الحضارة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، 1996.
د. على جمعة: برنامج مجالس الطيبين، القناة الأولى، التليفزيون المصرى، الجمعة 22 سبتمبر 2006.
د. على عبد الواحد وافى: اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1971.
مؤتمر مجمع اللغة العربية فى الدورتة الثانية والسبعين، 20 مارس – 3إبريل 2006، القاهرة.
ماجدة أنور المفتى: الكنز، دار شرقيات، 2005.
محمد أبو الخير، مقال " العقل المستنير يا خالد"، مجلة صباح الخير، العدد 1566، الخميس 9 يناير 1986.
محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

د. محمد عبد القادر حاتم: الإدارة فى اليابان كيف نستفيد منها.! !، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
د. محمد محمود غالى: محيط العلوم، مقال الراديوم- النسبية-الطاقة الذرية-قنبلة الهيدروجين، دار المعارف المصرية، 1966.
د. محمود حافظ: مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثامن والسبعون، مايو 1996.
د. محمود حافظ: مجمع اللغة العربية موجز عن تاريخه وانجازاته، روزاليوسف، 2007.
محمود قاسم: موسوعة جائزة نوبل فى القرن العشرين، دار ومطابع المستقبل، 2000.

J.P. SPRADLEY (1980) Participation Observation, New York, Holt, Rinehart&Winston
Kitty ferguson (1992) Stephen Hawking, A Bantam Book, London.
L.S. VYGOTSKY (1978) Mind in Society, Edited by Michael Cole and others. London,Harvard University Press.
Mohamed Abou El-khir (1996) Children's Drama, National Library and Archive of Egypt.
Tony Buzan (2005) Mind Maps, Thorsons, London.

التعريف بالمؤلف

الأستاذ الدكتور / محمد أبو الخير

-أستاذ الإخراج المسرحي بالمعهد العالي للفنون المسرحية، أكاديمية الفنون. مصر.

-حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليدز متروبوليتان، Leeds Metropolitan إنجلترا.

-تقلد العديد من المناصب القيادية بوزارتي الثقافة والشباب منها رئيس قطاع شئون الإنتاج الثقافي، وزارة الثقافة، وكيل الوزارة لقطاع الطلائع والبرامج الشبابية والتعليم المدني بوزارة الشباب.

-رئيس اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين، المعهد العالي للفنون المسرحية، أكاديمية الفنون (2014 حتى الآن).

-عضو اللجنة العلمية لتطوير المناهج الدراسية بأكاديمية الفنون.

-أستاذ زائر جامعة القاهرة، كلية الآداب، الدراسات العليا، تدريس مادة فنون المسرح

-شارك بعضوية العديد من الهيئات منها: لجنة الشباب باليونسكو، عضو مجلس الإدارة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عضو لجنة التنمية المستدامة وزارة البيئة، عضو لجنة ثقافة الطفل ولجنة المهرجانات بالمجلس الأعلى للثقافة، عضو مكتبة الإسكندرية (2004 -2007) وعضو اتحاد الكتاب مصر.

-أخرج وأشرف لأكثر من خمسين عملا فنياً مسرحياً على المستوى المحلى والعربي والدولي منها:

- احتفالية " اليوم العالمي للفرنكوفونية " معبد الكرنك بالأقصر،2012. – احتفالية " الأولمبياد المصري الأول" أستأد القاهرة، 2002.
- مسرحية "سامر والطبق الطائر" مسرح التليفزيون، 2000.
- مسرحية " الأم الخشبيـــة " البيت الفني للمسرح، 1999.
- مسرحية "رحلـة الحـلاج" لفرقة الغد للعروض التجريبية، 1995.

- أصدر أكثر من ثلاثين كتاباً بين مؤلف ومراجعة وقصص للأطفال منها:

- مراجعة كتب " الإدارة المسرحية" و " تراجيديات شكسبيرية " و " الإدارة المسرحية" و "السينوغرافيا" و "لا تمثيل من فضلكم" مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي (2000-2009).
- "دراما الأطفال" المركز القومي للترجمة، 2013.
- " النجاح والتميز في ظل العولمة " و "التنوير قضايا وشخصيات" الدار المصرية اللبنانية، 2008.
- مسرح الأطفال بين الكلاسيكية والإنترنت، دار الطلائع، 2009.
- الإشراف والمناقشة لأكثر من أربعين رسالة لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

- شارك ومثل مصر في العديد من المؤتمرات والمهرجانات والندوات المحلية والعربية والدولية.

- حصل على العديد من الجوائز وشهادات التقدير وخطابات الشكر على المستوى المحلى والعربي والدولي منها:

- الجائزة الفضية في مهرجان القاهرة السادس للإذاعة والتليفزيون، يوليو 2000.
- درع المدير المتميز "المتميزون"، وزارة الدولة للتنمية الإدارية، 2006.
- جائزة الدولة التشجيعية في الآداب والفنون، 1999.
- درع قطاع شؤون الإنتاج الثقافي، وزارة الثقافة، 2014.
- شهادة تقدير للمشاركة في "المؤتمر العلمي الدولي الأول لأكاديمية الفنون، 2016.